مذكرةُ آرت

وبعض الأوراق المهملة

يوميات وخواطر

مذكرةُ آرت

وبعض الأوراق المهملة

يوميات وخواطر

مصطفى نمر

دار فنون للنشر والتوزيع

كتاب: مذكرة آرت

تأليف: مصطفى نمر

تنسيق: هيلانا حنا

غلاف: محمد مخلوف

رقم الإيداع: ٢٥٣٨ / ٢٠٢٣م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٨٥٦-٢٢-٩

ابن معيط للطباعة

ت: ٠١٢٢٢١٢٣٥٨٣٣ ــ ٠١٠٦٢٧٦٥٧٣٦

بريد إلكترونيahmedragbmait@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة نشر دون موافقة قانونية مكتوبة من الكاتب يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

الطبعة الأولى ٢٠٢٢م

"إخترتك إنتي لي حروف.. تحميني من كل الظروف"

"لمغنيها"

إهداء

إلى "مروة" تلك المرأة التي لا تكفي لثناء جميلها الأبجدية

إلى "art" وما به من أصدقاء

إلى تلك المنطقة التي تشرق شمسها من الغرب

إلى أيامي ال 135 بها.

إهداء خاص

إلى "سماح"

"لطالما أخبرتيني ذات يومٍ أنه "يسرّك نجاحي جداً".. فها أنا اليوم أنجح يوماً تلو آخر.. لأجلكِ، وأهدي جميع نجاحاتي إليكِ لتكوني مسرورةً أكثر، ومن أجل أن لا أنساكِ أيضاً، لأنكِ أنيسة عزلتي واغترابي وشيئاً ما هنا في داخلي يرفض فكرة النسيان هذهِ، لأنكِ معجزة النساء أنتِ.. تستحقين كل جميلٍ، هذا الإهداء لكِ."

"***ملحوظة.***"

آرت هو "مصنع" ذهبت للعمل فيه في الفترة من ٢٩ يناير وحتى ١٢ يونيو، قضيتُ فيه ١٣٥ يوما، وفي تلك الفترة خصصتُ مذكرةً وبدأت أدوّن فيها يومياتي وأُلخّص فيها شعوري ومشاعري وأشارك بها سماحي مخاطباً إياها عن وحي الخيال، وبعد رحيلي بأيامٍ خطرت على بالي فكرةً.. وهي أن أجعلها كتاباً، وبينما أنا أفعل ذالك خطرت على بالي فكرةٌ أخرى.. وهي أن أضم إليها تلك "الأوراق المهملة" التي كنت أكتبها في لحظات فراغي ولا أهتم بها كثيرا لأشاركها مع الجميع فلربما يهتم بها أحدهم أو يجد فيها أحدهم ذاته الضائعة، فجعلتها هنا في هذا الكتاب "مذكرة آرت.. وبعض الأوراق المهملة. "

(١)

صباح النور عزيزتي

صباحٌ ليس ككل صباح، صباحٌ أرجوانيٌ ممزوجٌ بشذى المحبة وعبيرَ أشواقٍ غزيرةٍ تجمّدت في داخلي.

ما اعتدت أن أكتب لكِ في الصباحاتِ من قبل، لكني الآن أكتب فقط لأتأكد؛ هل الشمس هنا تشرق من الغرب حقاً.. أم أنني ملبوس؟ فأنا وكما تعلمين انتقلتُ من "القاهرة" إلى محافظةٍ أخرى يسمونها "المنوفية" والآن أسكن في مدينة تُدعى "السادات" أمكث في ذات المصنع الذي أعمل فيه _كالنحلة_ اثنا عشر ساعةً وثمانية عشرة أحيانا، ومنذ أن جئت إلى هنا _قبل سبعة أيامٍ_ وأنا أرى الشمس تشرق من الغرب وتغرب في الشرق، لما رأيت شروقها أول يومٍ استشعرتُ يومَ القيامة، بت أصلي وأسبح وأتقرب إلى الله بشتى الطرق، لكن ما إن مضى ذالك اليوم حتى اعتدتُ على الوضع ولم أكترث، لا أدري.. لكنها ربما أرادت أن تشرق من المكان الذي أشتقتك فيه أكثر، لذا أردت أن أكتب لكِ رسالة ورقيةً أصبّح عليكِ فيها لتدليني على النحو الصحيح، أو لعل شمس الحقيقة تخرج من بين حروفها

يوماً وتخبرني أن تلك الشمس التي تشرق من الغرب.. خيالا، قررت أن أكتب لكِ في كل صباحٍ رسالةً وأخبئها في مذكرتي حتى أعود من هذه المنطقة البائسة وتقرئين معاناتي، فأصدقائي الذين كنت أتآنس معهم، وكتبي التي كنت أقرأها ودفاتري التي كنت أكتب لك فيها.. جميعها تركتها هناك، أنا هنا الآن وحيداً وغريباً في كل شيء، لذا أردت أن أكتب لكِ لتنتشل حروفك دخاخين عزلتي.

الأحد ٦ فبراير ٢٠٢٢

٦:٢٣ ص

(٢)

صباحُ النور

وليس نوراً في البشرِ إلاكِ

صباح اليوم كان جميلا جداً، هادئٌ ولطيفٌ، مريحٌ فقط يفتقدك، أصبحتُ اليوم مسروراً للغاية، حتى أني صنعت كوباً من وصفة تلك القهوة التي أخبرتيني بها ذات يومٍ، وقلتِ لي: "أنها فقط للعاشقين" لا أدري إن كنتُ قد صرت عاشقاً أنا أيضاً.. لكنني أحببتها جداً، وخصوصاً لأني لم أشرب قهوةً منذ أن أتيتُ إلى هذا المعمل اللعين.

دُمتِ في أحرفي منارةً تُستُدل الشمس بها كلما ضلت.

الإثنين ٧مارس ٢٠٢٢

6:13

من اليأس والآلام

الوقوف على أطلال الذكريات.. هي تلك الخاصية التي جعلتني لا أكترث لأي شيء أمر به أو أي إنسانٍ يتعلق بي، حتى لا يُضاف إلى قائمة ذكرياتي يوماً ما ويطيل وقوفي على لعنة الأطلال تلك التي أظنها ستستمر حتى الأجل، لقد فقدت أملي في تلاشيها كما فقدت نفسي فيها، وبخلودها آمنت، وصلت إلى قناعة أنها سترافقني حتى في رحلة ما بعد الحياة، ولا شيء أسوأ من أن يقودك اليأس إلى أقصى حدود القناعة الأبدية بالتعاسة، أنا هنا في هذه البلدة الظالمِ أهلها بعد الكم الهائل من اليأس والآلام أصبحتْ معيشتي على قراءة الكتب وبعض قديد الذكريات.

(٣)

صباحُ النورِ..

دعيني أناديكِ فراشتي هذا الصباح، فالورد بلا فراشة لا يكتمل بهاءه، أو دعيني أرتشف حروف إسمكِ بدلا من فنجان قهوتي، فقد تأخرت اليوم في صنعها، أو دعيني أجعلك ساعةً لشروقي لأرتب بكِ فوضى صباحاتي، فما عدت أهتم بالوقت سوى الساعات الأولى من الفجر.. لكنها تعرقلني، فلا أستطيع حتى أن ألامس كلماتي، دعيني أرسمك لوحة في دفتر ذكرياتي، دعيني أكتبك قصيدةً في شطر أبياتي، ففي مذاهب الشعراء أن الأنثى حرفُ القصيد، لكنكِ في مذهبي أنتِ القصيد.

صباح النور يا نوراً طل على قلبي فأناره.

الأربعاء ٩ مارس ٢٠٢٢

(٤)

صباح النور يا نوراً يتماشى في داخلي فيزيدني حباً بكل إشراقةٍ متجددة، اليوم سأبدوا مخنوقاً نوعاً ما، لأنني قد استخرت الله فيكِ وانتابني شعور بالقلق، وهذا يدل على أنني قادم على شيءٍ أسوأ لكن لا بأس، فإن من أركان الإيمان أن نتقبل القدر خيره وشره، ولست أدري إن كان قد خطا فؤادك قبلي محباً لكن وعلى أية حال.. فإني ما زلت أراك قدري، وإن أنكرت الأقدار ذالك.

الخميس ١٠ مارس ٢٠٢٢

(٥)

اللهم يا من جعلتها نوراً إهتدى به قلبي وأضاء سدفة عتمتي، يا من جعلتها بهاءً إكتفى به بصري وبصيرتي، اللهم يا من جمعتنا في اللا زمان واللا مكان وبغير موعد، إجمعنا بالحلال في بيتٍ تشمله رحمتك ويعم جوانبه رضاك، وارزقنا اللهم "ذريّةً طيّبةً إنّكَ سميعُ الدّعاء".

صباح النور.

الجمعة ١١ مارس ٢٠٢٢

مبتورالأمل

ما زلتُ أمتطي فرس الإحتمال، إحتمال العودة واللا عودة، أنا يا عزيزتي ضعت هنا أعيش في هلاكٍ وشرود، إبتلعتني دار الغربة كما ابتلع الحوت يونس بجوفه ثلاثة أيام، لكنها حبستني في قفص مذلتها ثلاث سنواتٍ من الأسى والضياع، ولا أدري متى تقذفني إلى شاطئ بلدتي لأحتمي بيقطين عائلتي، لقد أصبح إيماني بسرمديتها شيءٌ طبيعيٌ لا يمكن رفضه حتى في الكتابة، أستمد شجاعتي من جميع خلايا عقلي وجسدي لأصنع الممكنات وأهرب من غرابيب غربتي.. لكنني أسقط في أول كمينٍ يشيده فزعي، لا أستطيع هدم تلك المخاوف التي يبني منها واقعي جسوراً بيني وبين ما أرغب بالوصول إليه، فتتحطم آمالي واعود مكسور الجناح مبتور الأمل.

(٦)

صباح النور..

صباح الخير يا فتاتي، واعذريني إن أزعجتك نوعاً ما بمناداتك "فتاتي" لأن في هذه المنطقة لا يوجد نساء، إلا أولئك اللواتي يعملن معنا في المصنع، لا أدري.. لكني ومنذ أن أتيت إلى هذه المنطقة لم أرى امرأةً حتى في الطريق، وكأننا في كوكبٍ آخر، كوكبٌ يخلو من النساء، كوكبٌ لا يسكنه سوى الرجال والقطط وبعضُ الكلاب.

اليوم راودني سؤالٌ كان قد طُرح يوماً ما في إحدى مواقع التواصل الإجتماعي وكان مضمونه "كيف ستبدوا الحياة إذا اختفت النساء.؟" ولأنني كنت متعلق بك حد الجنون، فأجبت يومها بجدية والقليل من المزاح "ماذا سننتظر إذاً..؟ سنختفي نحن أيضاً.!" ظناً مني بأن الحياة ستتوقف بغير وجود النساء، لكني كنت مخطئاً حينها.. واليوم وجدت الإجابة الصحيحة، الإجابة هي أن "الحياة لن تتوقف بعدم النساء" لكن بغير وجودهن لا معنى للحياة، فالحياة بغير امرأةٍ.. تُشبه مدينةً عظيمةً زاهيةً ولا مسجد فيها.

لذا لا يمكنني أن أحيا دونكِ، ويُسعدني أن أخاطبكِ كل يومٍ في الصباح هنا على مقهى أوراقي برفقة فنجان قهوتي وأقول لكِ.. "صباحُ النور.. إفتقدتكِ جداً يا فاتنتي الجميلة."

الإثنين ١٤ مارس ٢٠٢٢

لنفسي

عندما تجدينني أكتب لكل امرأةٍ أني أحبها، هذا لا يعني أنني كاذب ومنافق.. ولا أحبكِ، فأنا أعبّر دائماً عن شعوري الوقتيّ، ولذالك فأنا أحب كل الناس وكل النساء، لكن وحدك من تبقين معي كل الوقت.. لذالك أحتفظ بكِ لنفسي، وأشارك بقية ما أحبهن مع الآخرين، أحبك.

(٧)

صباح النور

صباحُ الخير يا رائعتي الجميلة، إعتدت ان أُحَيّيك كل يوم وأحكي لكِ ما تحويه مشاعري.. لأن لا أحد هنا يشاركني ذالك، وليس هناك. فتاةٌ مثلك لتنشد لي في كل يومٍ بترانيمك الزرقاء قائلة "صباح النور" إلا السيدة "مروة" تلك المرأة الطيبة الرقيقة التي تجلب لنا كل يوم خبز الفطور والعشاء، لأننا وكما أخبرتك سابقا نقيم في مكان بعيد.. أو بالأحرى "مهجور"؛ تلك فقط هي التي تشبهك، حتى ولو لم تكن مثلك، فإنها تحمل شيئاً من خصالك، مثلا أن تحييني كل ما رأتني بـ"صباح الخير"، وهذا وحده كفيل بأن أضعها بين سطوري في وسط هذا الكتاب.

الثلاثاء ١٥ مارس ٢٠٢٢

تباً

أظنني قد وصلت إلى أقصى حدود التحمل، أخبرتك سابقاً أنني لا أتقن فن الإنتظار، ولا أمتلك طاقةً كافية تزودني بالصبر أو تحفّزني بالتجلّد، لست بنبيٍ لأصطبر مثلما فعل أيوب، ولا أملك معجزةً لأخدع القدر بها من أجل الهروب، لقد أنفقت كل ما في جعبتي لأنجو من قبضتكِ.. لكن كلما أخرج من كربةٍ أهوى في مآزقٍ أخرى، وكأن القدر يتآمر مع لعنة العذاب ضدي، تعبث بي الحياة فتشقيني، ويسخر القدر مني فيزرع الشوك في طرقي ويغرق آمالي حتى تمتلئ موتاً فيقذفها مع زبدِ الحزن في شواطي الهلاك، تتقامر السعادة بي والأسى، ولا يكسبني غير الأسى، ليتني لو أملك جناحاً أو أتمكن من الطيران، أو لو أمتلك من السحر شيئاً، أو حتى لو أمتلك واحدةً من معجزات مُلكِ سُليمان، كنت سآتيك دوماً لا محالةً، أو أرسل الرياح لتجلبكِ لي، أو سأرسل الشياطين أفواجاً ليوسوسوا لك ويغرونك بأخذ قضمةٍ من تفاحة قلبي لنخرج من تفاهة الوحدة ونهوى في بركة الحب معاً، لكن للأسف.. أنا هنا في هذا المعمل اللعين لا أمتلك حتى دقيقةً إضافيةً لأكتب لكِ، وأحياناً لا أجد حتى "رصيداً" لأراسلك عن طريق "الواتس آب" لأني هنا أعيش

في مكانِ قفرٍ أسوأ من السجن، فالسجون تكون فاتحةً على الدوام لإستقبال الوافدين، لكن هنا تُغلقُ الأبواب من التاسعة مساءً.. تباً.

(٨)

صباح النور..

أحياناً يجب أن نتناسى أنفسنا قليلا.. نتفادى الألم الذي يهد داخلنا، الذكريات التي تنشق من جدران ماضينا.. فتلوث حاضرنا وما يأتي بعده، يجب أن نتعايش مع الواقع.. نحتمله قاسياً كان أو سَلِساً، لكن في حقيقة الأمر أن أن الواقع نفسه معقّدٌ جداً، يرينا السعادة من على بُعدٍ.. وعندما نقترب نجدها خزيةٌ، لا يريد منا أن نبتهج أبداً، ربما أنه تهلكه ابتسامتنا، أو بالأحرى أنه "يطلب منا أن نتفادى معيشته" هذا ما أفكر فيه كل يومٍ، فأهرب إلى خيالي وأنتشي بلذة العيشِ فيهِ، لكني أموتُ ببطءٍ عندما أفيق وأجدني في دنيا الوباء تسري آلامها في وريدي، فأعود بعدَ مُضِيّ خمسِ سنواتٍ وأكتبُ لكِ نفسِ تلكَ الأحرُفِ التي كُنتُ أسطرها لكِ قديماً في قصاصات ورقٍ على شكلِ أبياتٍ شعريةٍ وأرسلها لكِ دونما تدري، ودون أن تعرفي من المرسل، إنني أنا الكاتب نفسه.. وأنا المرسل نفسه، وإنني أنا المُدركُ جداً أن الكتابة لن تغيّرُ فيكِ شيئاً تجاهي، إلا أني لا أزالُ أُؤمنُ بأنها ستزيل القليل من كآبتكِ، وعلّكِ يوماً تستشعري حبي وتشفقي على ما حل بي.. ما زلتُ آمل.

الثلاثاء ٢٢ مارس ٢٠٢٢

(٩)

صباح النور..

لربما قد تكون إشراقة هذا الفجر هي الأجمل من كل إشراقةٍ مضت، يسعدني أن أُخبرك بكل تفاصيلها، لكن لا متسع من الوقت لدي، فبعدُ قليلٍ سأندفع إلى العمل مجبوراً؛ هل عِشتِ يوماً شعور أنّكِ تفعلين شيئاً بغير إرادتكِ.. بَيْدَ أن لا أحد يُجبركِ عليه.؟!

هذا هو إحساسي الآن إن كُنتِ حقاً لا تعلمين، لكن وعلى أيةُ حالٍ فإني أودُّ إخبارك بأن هذا الفجرُ كان ممتعاً للغايةِ، لقد صنعتُ فيه القهوة إقتداءً بكِ.. كعادتي، وقرأت فيه كعادتي أيضاً، لكن اليوم قرأتُ شيئاً مُختلفا، قرأتُ روايةً أو _كتاباً_ بديعاً واسمُه الأروع "قهوة مانو" كان يضم ما بين اللغتين "العربية الفُصحى" التي أُدمنها و "العامية المصرية" التي أعشقها جداً، لكني لم أكمله، وبيْد ذالك.. قد أمتعني، فقد وجدت فيه نصاً يقول: "غريبة هي تلك الحياة.. غريبةٌ تستحق الإنتظار.. تستحق الإيمان.. تستحقُّ الحياة" وهذا ما قد أشعل الأمل في داخلي، والكثير من الأشياء الجميلة التي وجدتها بداخله، إلا أنني

سأُخبرك بها لاحقاً، وكما أخبرتكِ أنهُ ليس لديّ المزيد من الوقت، فقط أود إخبارِكِ بأنّي سعيداً اليوم، وأودُّ أن أشاركِكِ سعادتي مع ترانيمُ البلابلِ هذه ورائحة قهوتي في هذا الصباح البهي، وأقول لكِ.. صباح النور.

(١٠)

صباح النور..

أحبكِ، وما أجملُ من صباحٍ يبدأُ بالحبِّ، الحب يعيد للدنيا نضارتها مهما كانت قبيحة، ويعيد لها رداء البهجة والشروق، وهذا ما نحتاجه في كل صباح، أن يهمس أحدهم لنا بجملةٍ لطيفةٍ نستشعر فيها روح الحياة، فأحياناً يحتاج أحدنا فقط كلمةً ليعيد اتزان بهجته، فلا تبخلوا بإسعادنا، وإني لأحبك يا غاليتي، ولن أقول هذه الجملة لأسعدكِ، بل لأستعيد روحي بكِ، فأنا أحبك بشكلٍ غريب وغير مفهوم.

(١١)

صباح النور.. وليس كل صباحٍ منير

أيُعقل أن يكون كل ما أنفقته من حبٍ ذهب هباءً؟ أيُعقل أن أهديكِ حباً... وأبقى في النهاية أنا المكروه؟ لقد سئمتُ من هذا يا عزيزتي، أودّ أن أصارحكِ حقاً، وأنتِ تعلمين صراحتي وتعرفين حقاً ما أود قوله، أنتِ تفهمينني أكثر من كل شخصٍ وأكثر من كل شيء، أكثر من عينيّ ومن قلبي ومن قلمي ومن ورقي ومن كل شيء، لكنكِ تعاندينني عبثاً، لا أدري إن كنتُ أنا المخطئ، لكني وإن أخطأت فيُلزم من قلبكِ أن يحُلّ قسوته قليلا ويعطف على فؤادي المجروح، بعد كل هذه الإعتذارات وكل هذا الحب الذي حملته في داخلي سنوات، أتسائل دائما هل أنني أنا المذنب لأني أحببتك.؟ أم أنني كنتُ أحمقاً لأنني صارحتك بمجرد أن شعرت بك تسري في وريدي؟ هل ظننتيني مخادعا.. فلم تعودي تهتمي بأكاذيبي.؟ أم ظننتِ أن هذه مجرد أحرُفٍ لكاتبٍ معتوهٍ فقد الإحساس بالحب.؟ لكني لم أحصل على جوابٍ مقنعٍ يرد عقلي إلى موقعه، فجئتُ اليوم في هذا الصباح الذي أعاد لي ذاكرة حزني لأطرحُ لكِ كل تساؤلاتي وأنتظر جواباً عادلا منكِ.

أخبرتني أنها لن تأتي

هكذا أنتِ دائماً يا عزيزتي، تهجرينني عندما أحتاجكِ، وتدعي القرب عندما أكون مكتملا، إذاً ما دمتِ أنتِ لستِ بحاجةٍ لي إلا في وقت حاجتكِ، فأنا أيضاً لا يمكنني التظاهر بالحماقة أكثر.. أنا لا أحتاجكِ، وأن أعود إلى هناك من أجلكِ.. فهذا شيءٌ لم ولن يحدث في تاريخي أبداً.. أن أترك بهجتي لأسعد مخلوقاً. فإن "مِصر" رغم ضجتها وكثافة سكانها.. إلا أنني أجد فيها من الراحة والهدوء ما يجعلني أستغني عنكِ وعن الحب، أنا أعيش في هذه الحياة لراحة نفسي فقط.. لا غير، ولم أجد من قبل هذه السكينة التي أنعم بها الآن، في هذه البلدة ورغم أني وحيداً وغريب.. إلا أنني لم أشعر بأني مبهمٌ أبداً، لم يجتاحني شعور الوحدة الذي يدمرني وأنا بقربكِ، وقد تأكدت أن هذا الكون لم يكن مأسوراً في عينيكِ، بل أنا من كان يتخيل ذالك، وأن تأتي أو لا.. فهذا أمرٌ أصبح لا يهمني إطلاقاً، وجدت هنا ما كنت أعيش لأجله.. أنا هنا مكتملا بذاتي فلتذهبي أنت والحب إلى الجحيم.

حتى نلتقي..!

إلى ذاك الحين ربما سأتزوج وأنجب أبناءً مثلي تماماً، لا يشبهونكِ أبداً. فأنا لا أؤمن بالمواعيد المجهولة ولا اللقاءاتِ التي تأتي مصادفةً، أكره المفاجآت حتى وإن كانت مُسرة، لا أحب إنتظار شيءٍ غير مضمون، لذا فلن أقول لكِ حتى نلتقي.. لأنا لم نفترق، ولكن سأقول لكِ حتى نفتقر، لأنكِ لستِ بحاجةٍ لي، وأنا أيضاً لا أحتاجكِ، لكن حينما يوشك الحنين على النفاد.. حينها سنلتقي.

أخبروني

كنت أكتب لها الرسائل والقصائد في جواباتٍ ورقيةٍ وأضعها لها في حقيبتها سراً، وأحيانا أتركها في مكان عملها وأخشى أن لا تعلم بأني أنا المرسل، لا أدري كيف أحببتها لتلك الدرجة، ولست أدري إن كان ذالك يسمى حباً أم علاقةٌ، أم... أم حماقة.

أن تعترف لشخصٍ ما بجريمةٍ فعلتها في غفلته وتخشى أن لا يُكشف أمرك.. هذا يعني أنك ستستمر في فعل ذالك، وهكذا أنا أيضا، حتى الآن ما زلتُ أفعلها لكن فقط طورتُ قليلا من طريقتي، فقديماً كنت أعبر لها عن شعورى في بعض وُريقات وجوابات وأعطيها لها دونما تعلم، لكن الآن صرت أعبر عن حبي لها بكتبٍ وأعطيها لها وهي تعلم، لأنه كلما كبُر الإنسان أصبح أكثر عقلانية وصراحةً، ولذا فلقد كبرت أنا وكبُر عقلي فكبر حبي وكبرت أوراقي حتى صارت كُتباً، ولكن على الرغم من ذالك.. ما زالت هي تحذرني بأن أتجنبها وأنساها، أخبروني كيف يمكن لي أن أكسب قلب تلك البريئة.؟

وتركني أنا

أتدرين، لم يعبث القدر بأحدٍ في التاريخ مثلي، وأنتِ تعلمي ذالك، لقد ربط بين قلبينا وشد الوثاق بقوةٍ، ثم أفلتكِ أنتِ بخُفيٍ.. وتركني أنا للعذاب والحسرات، "لأنه أحبّكِ" وفقط تخيلي ذالك "ماذا سيفعل القدر لمن يحبه؟"

أكرهك

"أكرهكِ" جداً، واليوم كرهتكِ أكثر، أتدرين ما الذي يجعلني أكتب عنكِ.؟ لأنني لا أستطيع أن أقول لكِ ذالك وأنتِ لا تبدين لي سوى المحبة، وهذه هي مشكلتي، لا أستطيع أن أواجه أحداً بشيء لا يبادلني إياه، أن أحب من يكرهني مثلا، أو أكره من يحبني، لذا أكتم غيظي وأكتفي بالكتابة، فالكُره في الورق يختلف كثيراً عن الكره في الواقع، ففي الواقع عندما تكره شخصاً ينموا كرهك له كلما تكبُر، بينما في الورق تزداد شوقا لرؤيته كلما أعدت قراءة ذالك النص، ولا أحد يتوق لرؤية من يكرهه، لذا.. أحببتكِ جداً، قديماً كنتُ أراكِ نقمةٌ عندما كانو يطلقون عليكِ "نعمة" لكني أدركت مؤخراً بأننا لا ندرك روعة الأشياء إلا بعد فقدانها.. "أُحبّكِ" .

آآه... لطفك يا رب..!

إلهي.. لا أدري ما الذنب الذي اقترفته حتى رميتني بين بشرٍ سفهاء لا يفهمون إطلاقاً، فإني أستغفرك يا إلهي من كل خطيئة أو ذنبٍ فعلته.. سهواً كان أو عمداً، وجنبني من هؤلاء، إنهم أناسٌ لا يحمدون نعمةً تعطهم إياها، لا يحترمون من يفنى لأجلهم، لا يقدرون الجميل.. ولا يشكرون من يهب نفسه لخدمتهم، ومن لا يشكر الناس فقد اعتدى على ثنائك ربي، ومن يتعدّى حدودك فقد أورد نفسه قاعِ الهلاك، وإنك عالم بما نُخفي وما نُعلن، فاهدنا إلى سواء الصراط.

بها ولها

أحاول محادثتها لأخبرها عن ما في داخلي، ولأعاتبها عن الذي تفعله بي، لكن عند مواجهتها.. لا شيء، تهرب الكلمات مني، ويهرب كل شيء.. حتى عقلي؛ قلبي فقط ما يعمل وكأنه خُلق مخصوصا لها، لا ينبض الا بها ولا يعمل الا لها، فأكتب في مفكرتي بعض المحادثات لأبدأ بها في المرة القادمة، لكن ماذا.. أنسى في المرة القادمة ان لي مفكرة في الأصل.

(١٢)

صباح النور..

مضت الكثير من الأيام وأنا لم أكتب لكِ حرفاً، أتدرين لماذا.؟ لأني لا أكتب لكِ إلا بأحرفٍ مشرقة، لكني لم أرى النور منذ أيام، لقد أُصيب إصبع يدي الأوسط بورمٍ عارمٍ فأجريتُ له عمليةٍ جراحيةٍ، ولهذا توقفت عن الكتابة لعدة أيام، لكن اليوم في تحسنٍ أفضل.

أتعلمين.؟ عندما يعتادُ أحدنا على الكتابة ويتوقف عنها.. يشعر وكأنه قد افتقد جزءاً منه في مكانٍ لا يعلمه، الكتابةُ هي الوحيدة التي تُحررني من الوحدة وتُشعرني بالسعادة، وأنتِ وحدكِ من تجعلينني أكتب.. إن تخليتُ عنكِ فلن أتمكن من العيش مُعافَياً في هذه الحياة البائسة.

ليقرأكِ الجميع

ربما الكتب هي الشيء الوحيد الذي يهبني السرور دون مقابل، فهذه الطمآنينة والسعادة التي تغمرني كل صباحٍ عند قراءتي لكتابٍ ما.. لا يمكنني الحصول عليها من أحد، ولكني أرى خيال عينيكِ في كل صفحةٍ من كل كتاب، لست أعلم أهي عيناكِ أم لا.. لكنها تذكرني بإحداهن، أعتذر إن بدر مني شيءٌ خاطئ، لكني على يقينٍ بأنني لم أُخطئ في شيء، كل ما فعلته هو أنني رأيتكِ صدفةً فلاحقتني أشباح عينيك، عذبتني.. جننتني، سكنت عقلي وفؤادي.. وخيالي وأحلامي، وحتى في سطور كتبي، لذالك فإني قد رأيت أنه من العدل أن أقتص لحقي، فأحببتكِ وتناولتك هنا في أحرفي، وكعادتي عندما أحب أحدهم إما أن أكتب عنه أو أرسمه، والكتابة هي عشقي الأكبر، لذا فلقد قررت أن أكتبكِ هنا ليقرأكِ الجميع، وذالك لا لأنكِ ما عُدتِ تعنيني.. ولكن ليعلم الكل كم كنت أعاني من حبك وهجركِ المستدام لي.

سنبقى ثوار

"شايف الPolice في أي حتة.. بس ما شايف أي عدالة"

"ibobai"

هذا هو مغنيّ المفضل، هو لا يحكي في أغانيه إلا الحقيقة ولا يصف بكلماته سوى الواقع، وحقا ما قاله في هذه الأغنية "إجابة" ففي وطني هناك.. الكثير من رجال الدولة، والكثير من مخافر الشرطة، والكثير من الجنود، ولا شيء من العدالة.

هذه الأغاني ليست تافهةً كما يعتقد بعض أجدادنا، وإن أبناء هذا الجيل ليسوا بحمقى كما يعتقد الكثيرون.

عندما ثُرنا لأول مرةٍ ضد النظام الحاكم.. ضحك الأقدمون فينا بإستهزاءٍ وأصبحوا يسخرون منا وهم يرددون "كيف لجيلٍ لا يفلح إلا في _فلفة_ شعره وإرتداء البناطيل الضيقة أن يغيّر نظاماً أو أن يبني دولةً؟" لكنهم ما كانوا يعلمون بأن البناطيل الضيقة تلك ما هي إلا تعبيراً عن ضيقنا، وتلك الفلفلة ما هي إلا قنابلٌ موقوتة نطلقها ناحية تلك العصابة الشريرة، لذالك عندما علموا بسر هذه الأشياء أصبحوا يضربون من يرتدي تلك البناطيل ويحلقون كل من يربي مثل ذالك الشعر عُنوةً، وعندما أسقطنا النظام وسرق بعض

الخونة ممتلكات دولتنا قالوا "هذا الغلاء جزاء إرادتكم" وعندما خرجنا إلى الشارع مرةً أخرى _وحتى الآن ما زلنا_ أصبحوا يرددون "موتوا دون أن تروا وطنا" هه.. تبا لكم، إننا حين نخرج نعرف جيداً ما نريد وما لا نريد، لكنما لن نُخدع بمسرحياتٍ زائفةٍ ترتبها بعض الفرق المتمرسة في الإفك والتي تُدعى "حكومة" وبعض تجار الدين، لا أحد يحكمنا بغير إرادتنا، فليرحل من لم يستطع المقاومة، ولنبقى نحن هنا حتى نسترد الوطن، سنبقى ثواراً أحراراً خارجون عن القانون.. لكن لسنا بخارجين من الوطن.

أخبريني

هل يجب أن أسبح في صحن الفضاء بجناحيْ فؤادي وأعلن حبي لكِ بصرخةٍ تهتز لها جوانب الأرض لتفطني أني أحبكِ؟ إذن ماذا..؟!.. هل أشق لكِ ذالك الجوهر الذي يقبع في داخلي لتريِنّ مقدار حبي لكِ؟ لكن كيف يحدث ذالك وهو الذي اتخذ ذالك الكهف من بين أطرافِ صدري ليختبأ عن نور بهاءكِ خوفاً من أن يستنشق المزيد من أوكسجين العشقِ ويهوى رفاتاً من حرارة الحب..!

أخبريني وأنا أنفذ.. ما الطريقة التي تبتغين بها إشهار حبي لكِ.؟!

قصتنا الغريبة

واحدةٌ أُخرى تقف على أعتابِ قلبي، تطرق بحذرٍ على بابه بكلماتها الملموسة التي تعبث بي وبيَقيني، لا أريد أن أفتح لها، لأن نافذة روحي تطل على شاطئٍ آخرٍ.. وهي ليست به، لا أدري إن كانت تحبني أو لا، لكنها دائماً ما تغرقني بسيولٍ من رسائلِ الغرام وقصائد الحب التي تظن أنها ستكسب قلبي بها.. ولا تدري بأني ألّفتُ من مثلها كُتباً لإحداهن.. ولم أحصل على مكانةٍ لي بفؤادها.!

تخاطبني كل يومٍ في محادثتنا على "الواتس آب" بأني أنا الذي اصطفته من بين الكثير، ولم تتوقف عن الإلحاح رغم اعتراضي ووضوحي معها، فقد أرسلت لي بالأمس مقطعاً شعريا بالعامية أظن أنني سمعته في أغنيةٍ ما، كانت تقول فيه

"منو الغيرك أسر قلبي.. وغير لي دربو مسار

رصف ليه الطريق بالريده.. وساقو معاهُ وين ما سار

عزم كل الأماني فرح.. عزم حلم العمر مشوار

وقفل بيهو باب الريد.. وآمن بيهو جنة ونار"

عجباً لغرابة الدنيا، هي تحبني، وأنا أحب امرأة أخرى، وتلك التي أحبها لا تؤمن بالحب إطلاقاً، وثلاثتنا ضائعين، نتهاوى على حافة التلاشي ونظن أننا على الصراط المستقيم.

لذالك فإن لقصتنا الغريبة هذه غرابةٌ تمكنها من إحتلال صفحة بوسط هذا الكتاب.. فاخترتُ أن تكون هنا.

(١٣)

صباح النور..

لربما كانت رسالتك هي أجمل ما وصلني هذا الصباح، حتى وإن كانت أحرفها اعتيادية.. فإنها حينما تأتي من عندك تكون أجمل وأغلى من "الراديوم".!

لقد كنتُ جالساً في مقعدي بسطح البناية بعد السادسة أقرأ _كعادتي_ وأتأمل تلك الطبيعة الربانية حين وصلتني رسالتك، رفرف قلبي برؤيتها، خِلْتني وكأني في السماء أداعب تلك الغيمات المتناثرة، حملقتُ مطولا في فضاء تلك السماء المُزْرقّة من فرط سعادتي شاكراً ربي على ما وهبني من نِعم.

مساء النور

مساء النور على غير العادة، يبدوا أنني سأخطوا في رحلة حبٍ جديدة.. لست أعلم، لكن يبدوا أنني أغضبتها، تلك الفتاة التي تعمل في الشركة معنا والتي سحرتني عيناها عندما حدقتني بنظرات اشمئزاز عندما تظارفت معها لما جاءت تضع شيئا في المستودع الذي أديره، لوَت حاجبيها وفمها ثم غادرت، لا أعلم لكني أظن أنني أغضبتها بتصرفي ذالك، لكني في الحقيقة أعجبت بها جداً، رغم أنها نحيفة وممتلئٌ وجهها بحب الشباب.. ليست بجميلةٍ.. لكني أعجبت بها، ربما سأخوض معها تجربة أخرى.. لكن لا تقلقي، مهما خضت التجارب.. فزت بها أو خسرتها فلن أنساك أبداً لأني لن أجد مثلك مطلقا، ولن تسمى تجاربي تلك قصص حب، بل شغفُ كاتبٍ يحاول _عبثاً_ إختلاق خزعبلات من مواقفٍ عابرةٍ ويجعل منها قصص حبٍ ينسبها لنفسه في صفحات الكتب، لذا لن أسميه حباً.. لأن قطار الحب يقف حيث مكث القلب في الوهلة الأولى وكنتِ أنت أولى محطاتي.. وآخرها، ولذا فقد اعتدت أن أخبرك بكل علاقة جديدة أشرع فيها، فلا يمكنني خيانتك وأنتِ الوحيدة التي اطمأن قلبي إليك وما سواكِ لا وجود لهن حتى وإن وُجدوا.

أحبكِ

وتسألني: أما زلتَ تكتب عني؟

نعم ما زلت أكتب عنكِ يا قاتلتي، وهل رأيتِ يوماً أن إنسانا يتغزل في من يقتله؟. نعم. أنا أفعل ذالك، أشكر القدر الذي جمعني بك وأسبه أحيانا، أرتدي قبعة الشمس ووجه القمر، لكن داخلي يسكنه هلاك الليل وسعير حبكِ ينهش قلبي وذاكرتي

لقد خلُص حبري.. لكنني لم أهتم، أضحيت أملح بقلمي من دمي.. وأكتب، فقد صرت كمدمن "الهيروين" كلما أحتاجه هو أن يكون لدي المزيد من الدمِ.. لأتناول المزيد من الجرعات، لقد أدمنتك يا غاليتي، أدمنتكِ حباً.. وشوقاً.. و.. وكتابةً، فإنني عندما أسكن أحدهم بفؤادي.. أشاطره أكثر شيءٍ يحبه قلبي، وكان لابد من الكتابة أن تشاركني حبي لكِ، فهي الوحيدة التي تصدق شهادتها في كل شيء، كل شيءٍ يأتيك مني عن طريق الكتابة.. لا تبغي عليه، واعذريني ان لم أُهديك يوما وردة، فأنا لا أثق في الورود لأنها غدارة..لا تحفظ الود، ستتخلى عني بمجرد إفلاسي وتوسوس لك بأني لم أعد أحبك.. فتهجرينني.. لذالك لا يوجد أصدق من الكتابة، وعلى قدر ثقتي بها.. أحبكِ.

تعويذة حبك

أظن أن تعويذة حبكِ قد أصابت حياتي أيضا، ولعنت نصيبي، فقد قفذفني قدري في مكانٍ مُقفرٍ لا حياة به، نقيم في ذات المعمل ونتخذ من رفوف المخزوناتِ مسكناً، ننام بين الأشولةِ والغبرة، يمازحنا "الذباب" نهاراً ويقبّلنا "البعوض" ليلا وتلعب من فوقنا "القطط" أحياناً، كل ذالك من أجل توفير المال الذي نصرفه قبل مرورِ عشرة أيام بعد قبضه، تباً للمال وما يفعله بالبشر، حياتنا هنا أشبه بحياة الحيوانات، "أكلٌ.. ونومٌ.. وعمل" _ لا أدري كيف أقولها_ لكن وعلى الرغم من أننا لا نجد الراحة الكافية فيه.. إلا أننا مستمتعين بالعمل هنا، ولهذا الشيء الغريب، قررت أن أخصص مذكرةً أسطر فيها بعض أيامي التي سأقضيها هنا، مذكرةً تحفظ لي أيام سعدي في مكانٍ تبرأ السعد منه، والآن أنا أكتب لكِ من داخل إحدى المخازن قابعاً تحت المخزونات من الغبرة وبعض مستلزمات الأطفال التي نصنعها، لا تدرين كيف نشقى من أجل إسعاد هؤلاء الصغار الذين لم يتعرفوا على الشقاء بعد، أو _بالأحرى_ لم يولدوا بعد، نعمل _كالنحل_ إثنا عشر ساعة في كل يومٍ وأحيانا ثمانية عشر وما زلنا مستمتعين.. تباً لهذا الأمر، أحيانا يراودني الشك بأن رب

هذا العمل قد فعل شيئاً سحرياً يجعل الناس لا يشعرون بالملل فيه، لكن لا يهم، أكثر ما يهمني ويخيفني هي لعنة حبك.. اللهم إني أعوذ بك من تعويذتها، وأسألك أن تملئني بحبها وتجمعني بها محبةً ليس قدراً.

إحترفنا الكذب

هي هناك تنتظرني، وأنا هنا أتلاعب بها، ولا ندري ما الذي يخبئه القدر، لا أدري ما الذي سيحدث عندما تعلم بأن انتظارها ذهب سُدى، عفواً عزيزتي، أنا لا أقصد إهانتك ولا كسر فؤادك، لم نتربى على ذالك، لكن تعودنا على الكذب فأصبح طبعنا والطبع غلاب، فنحن معشر الفقراء أو قاطني أفريقيا عموماً.. هكذا هي حياتنا، فمنذ أن كنا صغاراً كانوا آباءنا يخبرونا بأننا لو أتينا بنسبة عظيمة في المدرسة سنحظى بالهدايا.. نقرأ ونجتهد ليس من أجل التعليم أو النجاح، بل من أجل تلك الهدية، وبعد كل سنة يخبروننا بأنا كبرنا عن تلك الهدية، وسيحضرون لنا هدية تليق بأعمارنا في العام القادم، وهكذا سلسلة من الأكاذيب حتى تخرجنا وعلمنا أن آباءنا كانوا يخدعوننا، فما وجدنا هدية.. ولا ارتقينا بما تعلمناه، فاحترفنا الكذب على سنة آباءنا، ولو كانوا أخبرونا بأنا سنصبح مهندسين أو أطباء.. لتحقق ذالك، لكنهم قادونا من الجانب الخاطئ فتمسكنا به.

لا شيء يُدعى سعادة

لا شيء يُدعى سعادةٌ أو راحة، كل هذه مصطلحات إقترحها بعض الأطباء واللغويون عندما كانوا في حالة سُكر، منذ أن خُلقنا في هذه الحياة ونحن نعاني "الفقر"؛ قال أحد الأطباء في يومٍ ما عندما انتشى للغاية حد الثمالة _وهو يلقي محاضرةً لتلامذته_ "إن الراحة والسكينة تكمن في الطبيعة".

تعلق التلاميذ بتلك الحكمة، وزرعوا الوطن وروداً وأزهاراً وتعلقوا بالطبيعة حتى يئسوا منها، وعندما تملق اليأس منهم.. عقِلوا، فأرادوا محاورته في هذا الأمر، وعندما جاءوا إليه ليخبروه بما أصابهم من لعنة تلك الطبيعة.. لم يجدوه، لم يجدوه ليُخبروه بأنهم لم يتمكنوا من رؤية الشمس أو القمر أو أو حتى تلك الورود التي والأزهار التي شتلوها، لم يجدوه ليخبروه بأنهم لم يتمكنوا من التأمل في صُنع الله الذي أتقن كل شيء، يهرولون في الرابعة فجراً إلى أعمالهم ليعيدوا الطمآنينة لأولئك الذين أفقدتهم الطبيعةُ حياتهم، ويعودون في الثامنة مساءً حيث لا طبيعة وقتها ولا حيلة.!؛ لم يجدوه.. لأنه قتله الطبيعة، لقد سبقهم إلى حتفه متأثراً بإضطرابٍ في المخ وإجهادٍ في البدن.

وربما هذه القصة تلخص ما يحدث في ربوع وطني، فجميع سُكان وطني يؤمنون بتلك النظرية، أن "السكينة تكمن في الطبيعة" يشتلون الأشجار والزهور أمام بيوتهم وبداخلها، ولا يجدون وقتاً لرؤيتها، يخرجون بعد الفجر غدوةً كالجواسيس، ويعودون كاللصوصِ في ساعاتٍ متأخرةٍ من الليل.

"خُلقنا لنكمل بعضنا"

كتب أحدهم بخطٍ أعوجٍ على جدران غرفتها من الخارج

"لن أكون تلك اللعنة من الحب التي تخنقك قهرا، كما لم أكن مثل ذاك الذي دمر قلبك من قبل.! فلماذا تتعمدين هجري دائما.؟! "

وبينما هي قاطبةً حاجبيها في سخطٍ تتأمل تلك الكلمات بحيرةٍ رن هاتفها يُعرب عن وصول رسالةٍ نصيةٍ من رقمٍ هاتفٍ مجهولٍ كتب مرسلها "إن الحياة لن تقف على خذلان شخصٍ غدر بثقتك العَمياء فيه، وأنا لم أطلب منكِ ثقةً.. ما أطلبه الحب فقط.. فقط الحب، حتى وإن لم تحبيني.. إقبليني عديلا وشريكاً لكِ وتلك الأحزان، فكلانا يمتلك بداخله شيئا ينقص الآخر، أنا أحتاج الحب وأنتِ تحتاجين الأمان، دعينا نشرع لإتمام صفقتنا، حتى وإن _شاءت الأقدار_ وافترقنا.. فلن يكون أحدٌ منا طغى على الآخر. فنحن خُلقنا لنكمل بعضنا، عدا ذالك فالموت أولى بنا، أتقبيلني شريكاً أم أتخذ قراري؟!.. أنتظر الإجابة."

جمّعت كل ما تحمله من سخطٍ تنهّدته بإمتعاضٍ لتصنع من تلك التنهيدة أحرفاً غاضبةً وتختصرها في جملةٍ قصيرة لكنها

ملتهبةٍ بما يكفي من يأس قد يدوم عمراً، قالت فيها "أنت أدرى بالإجابة، وإن كان"الإبتعاد" قرارك.. فليكن" .

في اليوم التالي أصبحت جميع الصحف.. القنوات الإخبارية، ومواقع التواصل الإجتماعي تتحدث عن حادثة إنتحارٍ لفتىً وُجدت جثته على أطراف إحدى جزر النيل واتضح بعد نقله للمشرحة أنه مات منتحراً بعدما قطّع أوردة يديه، وترك في محفظته قصاصة ورقةٍ كتب فيها.

"إذن فليكن.. الموت أرحم من أن نحيا بنقصٍ لن يكمله أحد، لكن عليكِ أن تعلمي: أن أقتل نفسي.. هذا لا يعني أني أكرهكِ".

وأيضا وجدوا في محفظته صورةً باليةً لفتاةٍ عشرينيةٍ حسناء، تعرفوا بصعوبةٍ على ملامحها، وبعد مدةٍ من البحث وجدوها هي الأخرى جثةً هامدةً في الناحية الأخرى من تلك الجزيرة وقد إنتحرت بنفس طريقة ذالك الشاب، أكد الأطباء أنها قد توفيت بعد يومين من تلك الحادثة، وبعد عدة أيامٍ عثر أحد أفراد أسرتها على قصاصة ورقةٍ في "جراب" هاتفها كتبت فيها.

"أن يموت أحدٌ بسببي.. هذا يعني أني لا أستحق الحياة، خُلقنا لنكمل بعضنا، فلا تبخلو على أقرانكم بالكمال."

أخافُ عليكِ

أخاف عليكِ، لا أعلم إن كنتِ تحبين أحدهم أو لا، لكني أخشى عليكِ من تلك النهايات المأساوية لقصص الحب التي أقرأها كل يومٍ في صحف الأخبار، نهايات لم ترد حتى في الأفلام أو كتب روايات الفانتازيا، سمعنا وقرأنا عن الذي مات لأنه تخلى عنه محبوبه، لكنه ما ورد في التاريخ أبدا أن يقتل أحدهم شخصا أحبه فقط لأنه تخلى عنه، أتعلمين يا عزيزتي أنا أحببتك، بل أحببتك جداً، لكني لن أفعل ذالك حتى وإن هُددت بمحوِ ذاكرتي، فقط أخاف عليك من عديمي التربية.. مدعو الحب، أولئك الذين لا يعلمون عن الحب شيئا، فقط يعتقدون أن الحب هو مقابلة شخصين بعيدا عن أعين الناس وتبادل الكلمات المعسولة بينهما.. تبا.. إن هذا مؤسفٌ جداً.

دعوة

قال أحدنا في ذالك اليوم عندما جلبت لنا إحداهن شيئاً جميلا _لن أذكره_ "دعوة الصائم مستجابة، أدعوا لها بأن يرزقها الله طفلا".

دعوةٌ بظهر الغيب لفاعلِ خير في العشر الأواخر من رمضان، كيف يكون شعورك عندما تعلم أن أحدهم يدعوا لك بالخير دون علمك في أيامٍ ولحظاتٍ لا تُردّ الدعواتٍ فيها؟ أتصدقون إن أخبرتكم بأني ما زلتُ أدعوا حتى الآن لها؟ وكلما تذكرتها أو مر على خاطري إسم "إيمان" كررت "اللهم هب لها من لدنك وليًا تقياً واجعله من الصالحين". فقط لأنها فعلت شيئاً يسيراً ربما قد تكن نسِيَته، لكن الجميل لا يُنسى.

أخبروها

_سألتْ بالأمس عنك.

_أخبروها بأني لست على ما يرام، أخبروها بأني فقدت عقلي، أرسلوا لها عنواني وأخبروها بأني أحتضر فلتسرع لإنقاذي، أروها تلك الفحوصات وصور الأشعة الطبية، أخبروها بأن أوردتي تيبست وتوقف الدم فيها، أخبروها بأني أحتاج لكلمة "أحبك" لإغاثة روحي قبل خروجها.. أخبروها بأني أحتاجها.. أخبروها.

هذا كل ما أجيد فعله

أعلم أنني سيءٌ في الحب ولست محظوظا، لذالك كنتِ تطلقين علي أنتِ لقب "مجنون" لكن على الرغم من ذالك فإني قد أحببتكِ بكل سوئي وجنوني وعدم حظي حتى صرتِ إدماني، وهبتكِ حبي بكل ما في من آثام، لأنه مهما كان الإنسان سيئاً قذرا يبقى هناك شيئاً طاهراً حد القداسة في داخله.. وذالك الشيء هو "الحب" لكني سيء وكلي قذارة لأني أهديتك ذالك الشيء الوحيد الطاهر في داخلي، فأخذتيه دون اعتبار أو أهميةٍ. ومن ثم هربتِ، وأصبحت أنا هنا من بعدك أتجرع آهات البعد ولهيب الإشتياق، تحبسني الأشواق بداخلي فلا أستطيع التحرر ولا أتمكن من الهروب، والشيء الوحيد الذي يحتويني حينها هو "الكتابة" ويبدوا أن هذا كل ما أجيد فعله ترتطم الأفكار بداخلي فأحولها لحروف ومن ثم أكتبها فأفرغ بها داخلي.

ما زلتُ أتساءل

أتدرين.؟ أنا لا أعلم بشأن هيامي بك، لكنه أصبح لا يفارقني خيالك أبداً في كل حالاتي، لا أدري هل أنني أذنبت لما أُحببتكِ؟ أم أنني أخطأت عندما رسمتك في ذالك اليوم.!؟

لست أدري لكنني ما زلت أساءل عقلي أي ذنب فعلته حتى تعذبيني بمثل ذالك القدر.

أتدرين.. ما كنت قبلكِ أعرف شيئاً من المشاعر غير الكره والحزن، لكن بعدما التقيتك.. عرفت كل شيء.. الحب والطمآنينة والسعادة.. وغيرها من مقتنيات السعادة، ولكن بعد رحيلك تعرفت على كل أنواعِ الشجى، من التعس والحزن والإشتياق واللوعة والإنتظار والكره والإكتئآب والوحدة، أدمنت أنا التوحد بعدك، فصرت لا أطيق رؤية البشر حتى في العمل.

حتى الآن ما زلت أتسائل: هل حقاً هو الكون بهذا الفراغ؟.. هل كنتِ وحدكِ تملئين فراغ هذا الكون؟ أم كنت أنتِ الكون ولا خواء بداخلك

شخصٌ لا يعرف المستحيل

الطريق امامي طويلة، لكن عزمي على إكمالها أطول، لا ترهبني تلك الشواهق من الصخور المتدلية أمام وجهتي، سأتسلقها وأغدو كما لم يحدث شيئاً، أنا لست ضعيفاً ولست بتلك الهشاشة، إن أردت شيئاً.. سأقاوم حتى أصل إليه، لا أبالي بنظرات الإشمئزاز وتلك الكلمات الساخرة التي تهبط البعض، أنا شخصٌ قتل بداخله حاسة شعور التأوه من كلام الناس، أنا إنسان أغمض بداخله تلك العين التي تتأمل الشامتين، إنسان إن قصد شيئا لا يرى إلاه، شخصٌ لا يعرف المستحيل.. لأنه خلق من المحال.

أولئك المخلصين

إحذروا المخلصين الصامتين الهادئين دائموا الإبتسام، أولئك الذين لا تشعر بوجودهم.. ولكن يؤلمك غيابهم، أولئك الأشخاص النادرين الذين ينامون في وقت متأخرٍ من الليل ويستيقظون قبل الجميع، الذين لا يدخنون ولا يهتمون بمظهرهم، لا ينظرون في المرآة إلا في "صالون الحلاقة" إحذر أن تخطئ في حق ذالك النوع من البشر فإنهم إذا ما غضبوا لا يغفرون، وإنهم لا يعاتبون أحداً على عدم الإهتمام بهم.. لأنهم يتقنون فن الرحيل بدقةٍ.. ولا يعيرون اهتماماً لمن يرحل، ولا يحاولون تبرير أخطاءهم أو التُّهم التي تُوَجه إليهم عمداً، لأنهم يعلمون جيداً أن هناك أن التبريرات لا تغني، لا تثق ولا تُسرف كثيراً في حب المخلصين، فإنهم مخلصون جدا اذا ما غدروا او غادروا، لا تقع في حبهم.. ولا حتى تنتظر أن يحبك أحدهم يوماً ما.. فلقد ضاع نصف عمري وأنا أنتظر ذالك الـ"يوماً ما" وعندما بحثت عنه مؤخراً وجدت أنه أكذوبة اختلقها بعض علماء "التنمية" ليجعلوا البشر يتصارعون إليه حتى الأجل، ووجدت أيضاً أنه لا وجود لمخلوقٍ يُدعى "أحدهم".. بل إنها خدعةٌ سحريةٌ اخترعها الكتّاب ليواسوا بها أولئك" السناجل" المتوحدين الحزانى العزّل الذين لا أحد في حياتهم.

لقد تمكن الحزن مني

ما كنتُ أبداً من قبل بمثل هذا السوء الذي أنا عليه الآن، لقد تمكن الحزن مني حتى جعلني شخصاً لا أعرفه، شخصٌ يحمل بداخله الكثير من الهموم والكثير من الأشواق، الكثير من الأمنيات والكثير من الآلام والكثير من الأحلام، شخصٌ أدمن الصمت والتوحد بشكلٍ خرافي حتى أصبح يتجنب الجلوس مع الناس أو محادثتهم، شخصٌ أمسى لا يثق بشيءٍ إلا هاتفه وحسابه المصرفي، لا يشارك شعوره أحداً سوى مذكرته التي تحتفظ بأسراره، وفرشاته التي يخرج بها ما بداخله من خبايا فيلون بها بعض الأوراق فيظن المتفرجون أن تلك اللوحات هي إبداعُ فنانٍ خارقٍ ولا يدرون بأنها طلاسمٌ من الفوضى التي تحدث في داخله، لقد صرت شخصاً غامضاً لا أحد يفهمني مهما حاولت توضيح نفسي له.

أنتِ معي

اتدرين.. الوحدة ليست بالشيء المقيت مثلما يعتقد الكثير، الوحدة ليست شيئاً سيئاً.. أنا هنا دائماً ما أنفرد بنفسي، أحب العزلة والإبتعاد عن الآخرين، لكني لست وحيداً، انا لست وحيداً، غالبا ما تكونين معي وبجانبي، لكنما تلك الحروف التي أسطرها ما هي إلا وشوشةٌ في لحظاتِ غربة أشعر بها أحيانا.. فأرى فيها كحل عينيكِ.. أشتم رائحتك فيها.. لأن الذكريات أغلبها تتعلق بالعطور، أراكِ أمامي، لكن عندما أركض إليكِ لأرتمي بين أحضانكِ.. أجدني في سراب.. لكنكِ معي، انا لست وحيداً يا عزيزتي، أنتِ معي دائماً وبرفقتي أبداً، فأحباء السطور هم أصدق رفقةً من الآخرين.

لا أحد يستطيع

"كان الخوف مرات في الغربة.. إنو سواي بي وراي يهواك"

كنت أستمع إلى هذه الأغنية في ذالك الصباح وأردد معها قاصداً إياكِ، وبغتةً لفتت إنتباهي هذه الكلمات، فقطبت حاجبيّ وخاطبت نفسي بحيرةٍ قائلا "لكن كيف يهواكِ غيري وأنا الذي أفنيتُ عمراً كاملا ألهث ركضاً خلف فؤادكِ.. عبرتُ مثلما جئت إليكِ، فارغاً من كل شيءٍ.. إلاكِ، ملئتِني بكِ وأفرغتني من كل البشر، كيف يهواكِ غيري وقد كفرتِ بالهوى مطلقاً أنتِ؟ من الذي بوسعه أن يفعل أكثر مما فعلته ويجعلكِ تؤمنين بعقيدة الحب؟ من منهم يمتلك العزيمة ليتجرع من تلك الكأس التي شربتُ منها أنا.؟ من يستطيع أن يخلق قوة صبره مثلي في وقت أصبح كل شيء فيه بالوصفات الجاهزة "كيف تصبح صبورا.؟" لا أعلم، لكن إن ساءت أقدار أحدهم وأراد الله له الجنون.. فسيعاقبه بكِ، أنتِ مصدر كل الجنون، ساحرةٌ للغاية ولما بعد الغاية، كل شيء فيك مدمر، تُفقدين حياة كل من يقترب منكِ، إن لم تقتليه.. أصبتيه بالجنون، فلا أظن أن هناك من يمتلك مثل تلك الجرأة التي أملكها أنا، لا أحد يستطيع الإقتراب منك، ولا أحد يستطيع الغوص في نهر حبك، لأن الجميع يعرف مدى عمقه.

على حافة الهلاك

أما بعد..

لست أدري من أين أبدأ قصتي، أو أختمها في أي حد، لكن وعلى أية حالٍ فإني قد أفسدني الهوى وغزتني الهموم حتى نحلت، وما زلت أكفر بواقعي المحتوم وأؤمن بتلك المشاعر المنسابة نحوكِ بأنكِ ستبادليني بمثلها يوماً ما، على الرغم من أنها مضت الكثير من الأيام حتى أصبحت سنوات، لكن إيماني بك مثل تصديقي بعقيدتي، إن تخليت عنك فلن تحظى حياتي الأخرى بسعادة، ما زلتُ على حافة الهلاك أحبُوا وقد طال حبوي ولم أصلك، أعلم بأني ضائعٌ.. لكن إيماني بمغير الأقدار أعظم.

أعيش بشخصيتان

كل من يلتقي بي يلخصني في بضعة كلمات "شخصٌ هادئٌ إنعزالي غامضٌ يعشق الصمت ويحب السكون" لكني في حقيقة الأمر لست كذالك، أنا هشٌ للغاية وفوضويٌ جداً من الداخل، لكن لا يكتشف فوضويتي تلك إلا من كان مثلي.. من يشبهني فقط هو من يكتشف فيّ تلك الميزة الإستثنائية التي لا يراها الآخرون، أنا يا أعزائي شخصٌ إجتماعي وإنطوائيٌ في الحين ذاته، ما أعنيه هو أنني أحب الناس لكني أكره الإجتماعات وأماكن الإزدحام، أكره المقاهي والمطاعم والأماكن العامة، لا أتحدث كثيراً مع الغرباء، أكره اللقاءات والصُدف التي تجمعني بمن لا أحبهم وأنهيها مسرعاً، أرقص على إيقاعٍ كل أغنية تعجبني في أي مكان _من داخلي_ لكني أبدوا منزعجا من تلقاء ملامحي، أكره الجلوس مع التافهين والتحدث في أمورٍ تافهةٍ لا تفيد، انا من ذالك النوع الذي يجتنب النساء بكل حذرٍ وكأنه متزوج، أنا شخصٌ غريب، أعيش بشخصيتان، إحداهما طفولية بريئةٌ من الداخل، والأخرى خارجية كئيبة.

(١٤)

وحدها عيناك. من تنتشل روحي من مستنقعات الحزن إلى أكواخ السعادة، وحدها من تخلق لها المسرة وتعيد فيها الحياة، وحدها تلك الجوهرة من تأخذ بروحي إلى نعيمٍ خرافيٍ في كوكبٍ لم يكتشفه ثعالب البشرِ بعد، وحدها عيناكِ من تدفعني إلى قراءة الروايات في كل صباحٍ، لا لأتعلم.. بل لأبحث في تلك الشخصيات الخيالية عن شيءٍ يشبهك، فلا شبيهاً لكِ في الواقعِ، وحدها من تشرق في كل فجرٍ بدلا من الشمس التي تخضع لمضاجعة الغمام ولا تطل إلا في الحادية عشر صباحاً، فكيف لا ألقي تحية الصباح لكِ وحروفه التي تتوسلني رجاءً بأن أطرحها لكِ لتُحظى بتكرارٍ من ثغركِ البراق.

صباحُ الخير يا خيري.

ماذا يُسمى؟

تائهاً في دروب الضياعِ وكل بقاع هذه الأرض ضاقت بي، كل الطرق تقودني إلى حتفي دون شعور، وكل الأغاني تمسني بأحاسيسٍ تفتك بي دون رحمة، كل البشر تنوي التقرب مني.. إلاكِ، وما زلتِ تحاولين إقناعي بالإستغناء عنكِ، لا أدري كيف أنطقها.. لكنني حتى الآن لا أعرف هل إن كنت أحبك حقاً أم أنه شعورٌ عابرٌ فقط.! وإن كان عابراً فمتى سيغادر؟ إنه حتى في قوانين العالم من يمكث خمس سنوات في دولةٍ يحق له إمتلاك جنسيتها، لكني منحت حبك فوق الخمس ثلاثاً، وما زلت لم أستوعب إن كان حباً أو شعور.

عندما أتيت إلى هذا المعمل في أول يومٍ جلست في الطاولة مع النساء فأطرقن يمزحن معي ويوجهن لي الكثير من الأسئلة الهزلية كعادة كل شخصٍ جديد في مكانٍ غريب، وكانت هناك واحدة أصغرهن سناً وأكثرهن عبثا تُدعى "أُميمة" سألتني الكثير من الأسئلة التي ألهبت بداخلي الكثير من التناقضات والفوضى الداخلية، قالت في نصف حوارٍ طويل..

_هل أنت متزوج

أجبت: لا

قالت: خاطب

قلت: لا

قالت: أتُحب؟

_.....؟

تلعثمت عند هذا السؤال، لم أتمكن من إجابته، ما عرفت ماذا أقول، هل سأجيبها بأني أحب فعلا؟ وكيف أقول ذالك؟ فلن يُسمى الحب حباً إن لم يكن متبادلا بين الطرفين، والتي أحبها توصيني بالبعد عنها؟ أم سأجيبها بأني لا أحب؟ لكن كيف أكذب وكلي أمتلئ بكِ حباً؟ إكتفيت بالصمت فقط، لم أجبها، ولم أجد إجابة لسؤالي.. فأجيبيني عليه "ماذا يُسمى ما بيننا، حبٌ أم علاقةٌ.. أم لا شيء.!؟"

لكني أنتظر

"الليلة مسافر أنا أنا.. مع جبر الخاطر لي أنا"

هل تذكرينها.؟ أتذكرين تلك الأغنية؟ لا أدري ولا حتى أخمن أنكِ تذكرينها، لأنك حتى أنا لا تتذكريني بشكلٍ جيد.. فما بال تلك الأغنية؟ حمقى هم من يخلدون ذكرياتهم الجميلة في الأغاني وعلى أماكن اللقيا المتعددة كانت أو الأولى، لأن الأغاني سرعان ما تتلاشى وتُمحى من ذاكرة الوجود عند نزول أخرى جديدة، وكلما تطور الإنسان، شيد معماراً جديداً، فلا الأغنيات تبقى مثلما هي، ولا تتواجد الأمكنة مثلما كانت، لذالك خسرت الرهان أنا، ضِعت عندما ظننت أن تلك الأغنية ستحتفظ بذكرياتي، وضِعت مرةً أخرى عندما قذفتِني من ذاكرتك بعيداً على هاوية النسيان بوادٍ غير ذي زرعٍ، لكنني ما زلت أرتجي منكِ وُداً، ولست أدري لأي مدىً سيكون انتظاري.. لكني أنتظر.

أعانني الله

أفيق كل يومٍ في الفجر قبل الجميع _وكأنني موزّعُ جرائدٍ يخشى التأخر على زبائنه_ أصلي الفجر، أصنع قهوتي وأهرعُ إلى _السطح_ أتلذذ بقضاءِ ساعةٍ من القراءة، ولا أدري ما الذي يدفعني إلى ذالك في كل صباح، هل أنني أبحث عنك بين شخصيات تلك القصص.؟!.. ربما.!.. لكنني حتى الآن لم أجد شخصية أتقمص فيها ملامحكِ.

أم أنني أخلو بنفسي لأؤآنسها بالروايات؟ ولما لا..؟!.. فأنا من أولئك الذين تحدث "سعيد السنعوسي" نيابةً عنهم عندما قال "كلما شعرت بالحاجة إلى شخص يحدِّثني.. فتحت كتابا"

وغير ذالك، فأنا هنا في منطقة مهجورةٍ "كالبيت المسكون" ليس بها مكتبات ولا يوجد بها سوى "حانوتاً" صغيراً لا يوفر حتى المستلزمات الغذائية بشكل دائم، وبرفقتي _أوغادٍ_ لا يجيدون سوى لعب "كرة القدم" وسماع الأغاني الهابطة، أعانني الله.

ملاذي

إشتقتك يا حُلوتي

هأنذآ المقتول الذي ما زلت أصارع بقارب النجاة في قاع البعد عنكِ حبيبتي.. ولم أنجو، ما زلت ألهث بأسىً شديد لتعُد أنفاسي إليّ، تلك التي أخلفتها وأودعتها بعيناك السوداويتان اللتان اسودّت حياتي في البعد عنهما، واللتان ما زلت أضعهما في "شاشة" هاتفي الرئيسية، أتأملهما مطولا كلما رغبت برؤية الساعة أو تشغيل أغنيةٍ تذكرني بكِ، رغم درايتي وإيماني بأنني سأحترق كثيرا بلهيب الأشواق في غربتي.. إلا أني يوم ودعتك صممت على أن أعود طالباً يدكِ، تخيلت أنني عندما أغترب سأعود إلى وطني بالعديد من حقائب الهدايا والكثير من الأموال كما أرى معظم المغتربين، لكنني حين اغتربتُ تأكدت أن تلك الأموال ما هي جزاءً قليلا لمشاقّ صبرهم، وتلك الحقائب لم تكن سوى حمولاتٍ مكثّفةٍ من الحنين والأشواق على شكل هدايا لأحبابهم، ما كنتُ أُفطن قبلها أن الذين يغتربون يشتوون من الحنين بهذا القدر من الأسى.

إننا نكبر في نظر الحياة عندما نحب، لكننا نشيخ عندما نبتعد عن من نحب، لقد صرت في بعدي كهلا من الشوق.. إشتقتك يا ملاذي

مساء النور

مساء النور عزيزتي، لا أدري من أين أبدأ قصتي أو بأي طريقةٍ أسردها، أو بأي شعورٍ أقصها لكِ، فأنا أشعر بكل الأحاسيس، أشعر بالغربة.. بالحزن.. بالفراق.. بالوحدة.. بالإكتآب.. والكثير من الأحاسيس التي لا ترجمان لها في لغة المشاعر، لكن ليس أيٌّ منها قد دفعني للكتابة عنكِ، ما دفعني لأكتب لكِ هو الشوق، وإن الشوق إذا ألمّ بالمحب جعله كهلا لا يستطيع الرؤيا بوضوحٍ ولا التميز بين الناس، يرى وجه محبوبه في كل وجوه البشر، هكذا صرت أنا، أراكِ في ملامح كل شخصٍ ولا أستطيع محادثتكِ أو التمكن من رؤيتكِ، ليتني لو كنت أملك فقط صورة لكِ، فلن يستطيع الشوق إهانتي لهذه الدرجة.

مسرح "الثورة"

"قولوا كيف ننساكم..؟! .. هوي الخُطة ألف يا عصابة"

في مسرحٍ شاسعٍ به الكثير من الحضورِ، سُمي "الثورة".! وحدنا من ندافع فيه عن الوطن، اختاروا المايك.. واخترنا نحن القلم، ولكن لا أحد يصفق ولا أحد يرفع قبعته احتراماً لنا، لأن عصابة "الجنجويد" أقسمت بالقصاص لكل من ينضم إلى عصاة الوطن _كما أطلقت علينا_ لكن يبدوا أنهم لم يستوعبو تلك الهتافات التي كان يثور بها الشعب ضد زعيمهم السابق.

"الطلقة ما بتقتل.. بقتل سكات الزول"

شيئاً ما..

شيئاً ما في داخلي أشعر بأنه يتلاشى، شيئاً ما يتهدم.. ينكسر، شيئاً ما يشعرني بالغربة، باللا انتماء، أصبحت اعتزل الجميع.. حتى نفسي، أفضل فقط قراءة الروايات وأقرب أبطالها الوهميين إلى قلبي، أقرأ حتى أثمل، أضع الكتاب على صدري وأتمدد عندما أشعر بالإرهاق، أغرق في نومٍ عميق عندما يغشاني النعاس.

قصة

قدمت في منحةٍ دراسية بإحدى الجامعات فاتصلتُ بأمي وأخبرتها بأن تدعي لي حتى يتم قبولي.. وقد استجاب الله لدعواتها، وقد سُرت أمي لذالك، لأنها كانت تنصحني دائما بأن أقرأ ولا أتخلى عن الدراسة مهما حدث، ولكن بالمقابل أيضاً فقد كان جميع أصدقائي ينصحوني بأني قد تقدم العمر بي ويجب أن أتزوج، ولأني كنت أعيش بوسطهم.. فتجاهلت نصيحة أمي وراهنت على نصيحة أصدقائي، ذهبت البنك كي آخذ قرضاً لأتزوج.. فرفضوا إعطائي له وأوضحوا بأن الزواج ليس سبباً كافياً لإستلافه، فعدت إلى روتين عملي المعتاد، وجدت إحداهن فأحببتها وقلت سأجمع النقود وأتزوجها في العام القادم، وبدأتُ في تنفيذ هذا القرار، وعندما أقبل العام الذي كنتُ أرجوهُ.. ألقيتُ نظرةً على تقرير ماضيّ.. فوجدت أن الأموال التي أنفقتها على التنزه في العام الماضي برفقتها.. كانت كفيلةٌ بأن تكفيني طيلة ذالك العام الدراسي في تلك المنحة التي قُبلت فيها، غضبت من نفسي.. تركت أمر الزواج.. والحب.. والعمل.. وعدت إلى الدراسة، ذهبت لأكمل بياناتي في تلك المنحة.. فأخبرني المسجّل أن ذالك القبول كان في العام الماضي، لعنتُ نفسي كثيراً وقلت

سآخذ حصتي التي جمعتها من أجل الزواج وأعود للدراسة مهما كلف الأمر، ولما جئت لأعد الأموال.. وجدت أنها لا تكفي لشراء قائمة الكتب حتى، لعنتُ نفسي مرةً أخرى وأقسمت أن لا أدع دعوت أمي تذهب هباءً، وأن لا أتزوج إلا بعدما أحقق جميع رغباتي الأولوية، لأني علمت مؤخراً من أحد أعمامي بأن أبي تزوج وهو في سن الخامسة والثلاثون من عمره وأنجبنا ثمانيةً، أخذت ما تبقى لدي من نقودٍ وذهبتُ إلى "سور الأزبكية" اشتريتُ الكثير من الكتب، الجديد منها والقديم، لم آخذ في مجال معين لأنه لا يهم ما الذي أقرأه.. فقط المهم أن أقرأ، أخذت جميع الأنواع من الكتب.. الدينية.. التاريخية.. الفلسفية.. الشعرية.. الروائية.. الإجتماعية.. إلخ، عدا السياسية، لأن أمي كانت تحذرني دائما بأن أبتعد عن السياسية والغناء، عدت إلى المنزل وصرت أقرأ وأقرأ، أعمل إثنا عشرة ساعة، وفي الإثني عشرة الخاصة بي.. خصصت أربعاً منها للقراءة، اثنان صباحا ومثلها في المساء، حتى ضعف نظري.. لكنني لم اهتم، لا كشفت عنه ولا فكرت بأن أزور طبيباً، لأنني لم أكن أمتلك مالا، وكل جمعت شيئا من المال جلبت به المزيد من الكتب، ظللت في حالتي تلك أقرأ وأكتب و..و.. وفي غضون عامين وجدت نفسي قد تغيرت تماما، قارنت نفسي بذالك الشخص في الماضي.. فوجدت هذا الملخص: "قبل عامين كنتَ شخصا تافها، تذهب إلى العمل وعند عودتك تتجه مباشرةً

إلى المقهى، قبل عامين كنت لا تهتم إلا ببطنك وملبسك، قبل عامين لم تكن أنت.. أعني أنك لم تكتشف ذاتك حينها" وها أنا مفتخراً بذاتي وإنجازاتي وأصدقائي الجدد من الكتب والكتّاب والقراء والمثقفين، فشغلتُ عقلي.. عملت بنصيحة امي وقرأت، وعملت بنصيحة أصدقائي فتزوجت.. تزوجتُ أحرفي حتى أنجبت اليوم طفلي السابع، وصرت مترفهاً مادياً ومعنوياً، زرت الطبيب كشفت لعيناي واشتريت نظارتان واحدة للعمل والأخرى للقراءة، وها أنا أكتب لكم من داخل مستودع الكرتون في هذا المصنع لأخبركم بأنها "فُرجت.. عندما استخدمت نصيحة أمي" والآن أفكر في الزواج.

(١٥)

صباح النور.. وليس كل صباحٍ منير

أحياناً تشرق الصباحات مظلمةً حتى نظن أن الليل قد أعاد دورته، ربما لن يبتسم الفجر مجدداً إلا بلقائكِ آنستي، ولا أدري إن كان بإمكانكِ معرفتي بعد كل هذه السنوات أم لا، فلقد صرت هزيلا ومهمشاً، تغيرت ملامحي واعتراني الشيب من فرط الهموم وجهد الأسى، تحيطني الأشواق من كل ناحيةٍ، أحترق من تراكم ذكرياتي، وأنطفئ بمرور طيفكِ على بستان ذاكرتي، أشتهي رؤيتكِ.. أتوق لسماع صوتكِ، أرسمكِ في خيالي وأظل أحدثكِ.. فيظن الحمقى أنّي صرتُ مجنوناً أحدث نفسي، بغتةً أجدني مكبوتاً.. هالكاً.. من موجاتِ الحنين التي تفتك في روحي بلا حِنّيةٍ ولا رفقٍ، أخاطب عقلي أن "عُدْ.. عُدْ من أجلها، فليس سواها من يستحقُّ الحياة" لكني أتساءل كثيراً "ماذا إن نستني" أو "ماذا إن لم أجدها، فإني لم أسمع عنها منذ أن أتيتُ إلى هنا" وما أسوأ من أن تبتعد عن شخصٍ تحبه ولا يصلك عنه شيئا سوى كمٌ هائلٌ من الأشواق، هل سأنتزع رعشتي وأقْبِل عليها.!؟ أم سأظل هنا وأكتفي بالكتابة عنها.؟ أم أتركها عالقةً في عقلي مثلما كانت، فأحياناً أن نُبقي الأشياء بالصورة الموحدة في

ذاكرتنا أفضل من أن نلوثها بإصطدامات الواقع الجبار الذي لا يدع شيئاً مثلما كان.

وأنا حين أكتب عنكِ.. أشعر وكأني أحدثكِ.. ألتمسكِ.. أعانقكِ.. أداعب خصلات شعركِ بأناملي التي اشتاقت كثيراً لمداعبة خصلاةِ شعرك الليلية، لكن الواقع لا يتيح لي الفرصة الكافية للترفه في خيالي، سرعان ما يتلاشى كل شيءٍ عندما أتأمل شوكةُ ساعة الحائط التي تخبرني بقرب ميعاد العمل، فأتخيلني قد جُننت.

على أية حال.. قد راودتني ذكراكِ هذا الصباح، فلقد أفتقدك واشتقت كثيراً إليكِ.

نور

إن أكثر الذين يخلّدونا في دواخلهم لمدةٍ أطول.. هم من يعبر قطار حياتنا بمحطاتهم صُدفةً فنهديهم أشياءً نظن أنها ليست بتلك الأهمية.. لكنها تخلدنا بداخلهم للأبد، والذين يقطنوا أكثر بداخلنا هم أشخاصٌ وجدناهم صدفةً.. منحونا إحترامهم فأهديناهم بعضاً من أشياءنا المقدسة، وأولئك الذين يكون إهداءهم في منتصف صفحات كتبنا مخافة أن يدركهم الآخرون، أعلم أنكِ لا تعلمين بأني أكتب لك أو أكتب فيك، وربما لا تدرين بأن هذه الأحرف قد كتبتها لكِ إذا حدث وقرأتِها في يومٍ ما صدفةً، لكني أُأكد لكِ بأني لا أعرف نوراً سواكِ.. فأنت النور الوحيدة التي أعرفها، والنور الوحيدة التي ذكرتها في هذا الكتاب، والشخص الوحيد الذي سأهديه هذا الكتاب من المنتصف، لأنك أعظم من أن يكتب إسمك في وسط زحام الأسطر الأولى... فالكتب دائماً ما يكون محتواها الأعمق في المنتصف.. وأنتِ أهم ما سُطّر في هذا الكتاب، وجدتك في نهايات مشواري.. فتمنيت لو وجدت منذ البداية، أدامكِ الله لي نورا دائما لا ينطفئ.

إن كان الشوق يُكتب

أتدرون معنى أن تجد شخصاً يشبهك؟ في تفاصيل حياتك.. في أفكارك.، أن تجد شخصاً يحب أغانيك المفضلة يعشق لونك المثالي؟ شخصٌ يجعلك تعتقد أنه معجزة من السماء جاءت لمواساة أقدارك؟ شخصٌ تزداد شوقاً له وأنت في حضنه..؟ لقد كانت هي ذالك الشخص.

نعم أنتِ.. أنت ذالك الشخص النادر الذي ظهر فجأةً في حياتي فجعلها زرقاء صافيةً بلون السماء، لذالك أزداد شوقاً لكِ بكل نظرة ألتقطها من نقاوة هذي السماء، ولو كان الشوق يُكتب يا حلوتي.. لامتلأ الكون صُحفاً من فرط شوقي، أنظري إلى أولئك العشاق الذين مروا قبلنا، إلى تلك الكتب والمخطوطات من الرسائل والقصائد وجميع أنواع الأدب التي تنص عن الشوق، جميعها تلك ما هي إلا وصفٌ لشعورهم وما حل بهم.. لكن فقط تتخيلي.. ماذا سيفعلون إن كان الشوق يُكتب؟.

لا أعلم.. لكن ما أود قوله هو أنني في هذه البلدة _ولن أقول في "الغربة" لأني ما شعرتُ بأني غريبٌ هنا أبداً_.. إفتقدتكِ، إفتقدتك لدرجة أنني أصبحتُ أعود لمحادثاتنا القديمة وأكرر

قراءتها مراراً فأبتسم.. ثم ينتابني حزناً يكاد يُسقط أدمعي، ولا أستطيع بدء محادثةٍ جديدة معكِ، لأني لا أعلم بماذا سأبدأ، ولو أنكِ يا عزيزتي علمتِ بمدن الشوق ومنارات الحب التي في داخلي.. لهرولتِ إليّ وحبستيني داخل قفصكِ الصدري بعيداً عن اللصوص من النساء، لكن أسفاً.. لا يمكن لذالك أن يكون.

في تلك الزاوية

"في تلك المقاعد التي تحتل زاوية ذاك المطعم الزجاجي.. كنا هناك معاً.. وفي مثل هذا التوقيت يكون موعدنا.. نلتقي هناك في رصيف تلك البناية الزرقاء، ثم نتمشى حتى نصل هذا المبنى، فنصعد إلى ذالك الطابق ونجلس في تلك المقاعد، نرتشف قهوتنا معاً، نتحدث عن العمل قليلا، ترتل عينانا تغاريد الحب المقدسة، وننتشي بغيمات تلك المواعيد، أملأها حبا.. فتغمرني شوقاً لحديثها حتى أثمل. نغرق معاً في محيطات العشق التي تتلاطم فوقنا، رغم اليابسة التي نجلس فوقها، في تلك المقاعد وذاك الركن خصوصاً.. عالم آخر، عالم يتكون فقط عندما نأتي، وحتى الآن رغم رحيلها وابتعادي عن ذاك المكان.. إلا أنها ما زالت تناديني تلك الزاوية.. تلوّح لي من بعيدٍ أن "تقدم.. أقبل علي.. فأنا بحاجةٍ لك" لكني أخشى أن أعود إلى هناك وتسحقني غرابيب الذكريات".

رفقاً بنا يا أشواق

"عادةً ما يمزّقنا الحنين عند ابتعادنا عن أحدهم أو إحداهن، تعترينا الأشواق.. يتكبدنا الإرهاق، وتسحقنا مواكبُ الذكريات الثائرة من كوارثِ الماضي، فتهيجُ فينا تلك الغصة المعهودة، تُسقطُ من أعماقنا تلك الدموع الحارقة التي لا يراها ولا يشعرُ بها إلّانا، تتسلّلُ من نافذةِ لهفتنا وتبللّ تلك الأشواقُ منها، فلا نستطيع فعلَ شيءٍ غير أن نسطرَ بعضاً من الحروف على دفاترنا نواسي بها أنفسنا ونقول فيها "رفقاً بنا يَا أشْواقْ".

4/9

في هذا اليوم كنت منهمكاً في العمل ومكتئباً أيضاً، لم أجد شيئاً يسلّيني وينتشلني من قوقعة يأسي، فتحت "شبكة البيانات" خِلسةً.. فوجدت منها هذه الرسالة.

"كنتُ دائماً أردد لنفسي أن "العِوض قريب" أحاول إقناعي أنني فتاة قوية وصامدة تجاه عقبات الحياة، أنجح في ذالك مراراً لكن في كل مرة تعود بي الذكريات إلى نقطة الصفر وأفشل في ترميم تلك الجروح، لكن لن يطول هذا الأمر وسأجد الوجهة لكي أستعيد طريقي إلى نفسي، إلى عفويتي، مرحي، إجتهادي، كل هذه الأشياء سأستعيدها وبهذا القلب القاسي وحتى أفكاري الشيطانية ولا تخدعكم ملامحي الطفولية فإن لي روح شرسة حد السوداوية. *"كريمة إزرايدي"*.

رددت لها متخفياً على الفور وأنا أتحاشى "كاميرات المراقبة" قائلا:

"أن تكوني آملةً دائماً، أن تواسي نفسكِ بالفرج، أن تكوني مثابرةً في طريقكِ.. تقاومي كل مشقات الحياة.. تُعيدي لروحك تفاصيلكِ الجليلة التي انتشلتها منكِ الحياة، تلك صفاتٌ لا يملكها سوى الأشداء، الحياة شرسةٌ لا تسير بغير المعاندة، إن رأتك ضعيفاً تستخلص منك جُل حقوقك.. دمتِ صامدةً. "

الكتابة

عندما يهتاج الحنين في ذاكرة العشوق، وتستعد الأشواق لتناولها وجبةً دسمةً من قلبه، عندما يتخدر العقل من فرط الغرق مرة تلو الأخرى في وديان ماضيه، عندما لا تجد شعوراً مطابقاً تطلقه على حالك، أو رمزاً تعبيرياً تعبر به عن مزاجك، هنا تتطارد الألوان في جدران خيالك، وترسم لك العديد من اللوحات في مخيلتك، هنا يراودك شعورٌ بالأسى والإضطراب، وهنا لن تطل في خيالك فكرةٌ.. سوى الكتابة، لتعبر عن تلك اللوحات الغامضة، فالكتابة هي الوحيدة القادرة على اخراج ما بداخلنا من كمد، لهذا استخدمها دائما لتخفيف حملي، مهما طبطب عليك أحدهم أو احتضنك، فإنه لن يستطيع كبح كل الإرتباكات التي بداخلك.

إلى "كريمة"

أتُرى هل هذا النبض المتسارع من أجلها؟ ولماذا يرتجف قلبي هكذا عند رؤية صورتها؟ لماذا تخترق أحلامي دائماً لماذا تزلزلني هكذا تلك البريئة؟ لا أعلم، جميعها تلك أسئلة لا جواب لها.

أنتِ.. أنتِ مغريةٌ جداً يا كريمتي، عندما أتأمل عيناكِ في صورتكِ تلك التي _سرقتها من "الإستوري" خاصتكِ لأني جُبنت أن أطلبها منكِ_ أشعر وكأني متشردٌ أفريقيٌ حصل _أخيراً_ على الجنسية البريطانية بعد عشر سنواتٍ من اللجوء.

لقد سئمت منازعة عقلي بشأنك يا كريمتي، لقد كان قلبي على الدوام يخبرني بأني أحببتك، لكني كنت ألعنه وأرتكن إلى جانب عقلي الصريح الذي يحاول جاحداً أن يثبت لي بأنكِ لستِ سوى صديقةً عابرةً تؤنس وحدتي ثم تتلاشى مع الوقت مثلما عبر الجميع، أو أنكِ مجرد قارئةً أعجبها حرفي فارتكنت على صُحفي واتخذت منها بيوتاً.

لكن لسان قلبي يقول: أنكِ امرأةٌ خارقةٌ جئتِ عابرةً فترجلتِ على حافة الطريق لتستريحي من عناء السفر، وصدف ان تلك المحطة التي توقفتِ عندها هي "قلبي" .

الكثير من التناقضات والكثير من الأسئلة والكثير من التساؤلات التي تربكني، لكن اليوم كان ختامها، حاولت اليوم اختلاق أكذوبةٍ تلائم موقفي لأنضم إلى جانب قلبي الملهوف عندما وجدتني بغتةً أرسمكِ دونما أشعر، ناجيت عقلي سراً وقلت:

_لماذا أرسمها

فأجابني: لأنك إشتقت لها

فقلت له: هذا يعني أني أحبها

فرد: لا، الإشتياق لا يعني الحب دائماً

قلت: إذاً ما الإشتياق وماذا يعني؟

فأجاب: الإشتياق هو أن تفتقد أحدهم فتحن لرؤيته أو تتوق للقياه

_وهل يشتاق أحدٌ لشخصٍ لم يحبه؟

_بالطبع، فمن الطبيعي جداً أن يشتاق أحدنا لصديقه في الدراسه أو رفيقه في العمل أو جاره في الدار أو ربما يشتاق لبائع وردٍ تغيب عن مشتله، أو ورّاقاً أغلق مكتبته، وذالك الشوق لا يُعد حباً.. بل إفتقاداً، إفتقدت شخصاً ما.. فاشتقت لرؤيته أو محادثته، هذا كل ما في الأمر.

ربما قد أقنعني عقلي بتلك التحليلات الواقعية، لكنني وحتى الآن ما زلت أسائل نفسي.. "هل أحبك حقاً.. أم أنها مجرد صداقة؟".

سأنتظر ذالك اليوم...

مهما طال البعد مهما كثر الشوق مهما تعثرت وانهرتُ في جروف الطريق.. لا يمكنني التوقف قبل أن أنال ثماري من شجرِ أحلامي، لا يمكنني التنحي جانباً، فأنا من قررت المسير، وأنا من سأوفي بتنفيذ قراري، أعلم أنني تأخرت كثيراً عن العودة لوطني، وأعلم أيضاً أن أمي بحاجةٍ إلى رؤيتي وأيضا أنا أحتاج رؤيتها بشدة، لكنني أقسمت أن لا أعود لها مثلما ودعتها، عذراً أمي، أعلم أنني تأخرت كثيراً، لكني لن أعود إلا بعدما أكون كما أريد، وأنا مؤمنٌ بأنه سيأتي ذالك اليوم الذي سأكون فيه واحداً من قادة الفن التشكيلي أو واحداً من أعظم كتاب الكآبة والحزن، سيأتي ذالك اليوم الذي سأتزوج فيه نكرتي تلك وأكون فخوراً بها وبنفسي ويفتخر بي أبنائي، سأنتظر ذالك اليوم الذي سيبن لي إن كنت سأكون مثلما أردت.. أم سينتهي بي الأمر في مستشفى الأمراض العقلية، فبالتأكيد سأُجنّ إن لم تتحقق هذه الأحلام.

الحب زلزلني

أتدرين.! منذ أن تعرّفت على الحب وقصصه وأغانيه لم أجد فيه حكاية تشبه قصتي، إن العشاق غالباً ما يدخلون معارك الحب دون إرادتهم، لذا لا يجدون سبُلا للخروج منها، وأنا مثلهم جذبني إليه ونسيت الطرق التي أتيت بها، وأنا أبحث عن طُرق مجيئي لا لأهرب، ولكن لأتأكد من أي نافذةٍ رأيتكِ حينها، لأعود وآتيك بالطريق الصحيح، لأني ضللت الوجهة منذ البداية.. فضلّ قلبي السبيل، ولا صواب في الحب، ترى الحق بأم عينيك وتؤمن بالباطل فيه، لذالك فإنني لما رأيتك قلت سآتيك من ناحية أخرى لأفاجأكِ، ولأني لم أتعرف على قواعد اللعبة حينها.. فخسرتها قبل البداية، وما زلت أقامر بكل ممتلكاتي، أضع كل ما أملك من عزمٍ وشجاعةٍ في تلك الطاولة.. طاولة الحب، فأخسر الرهان بمجرد رؤيتك أو سماع صوتكِ، أو حرفاً مكتوباً على ورقةٍ منكِ، كنت جباراً لكن الحب زلزلني.

سأمشيه

تلك الصفحات الخالدة التي حبستُ بها قلبي والكثير من مشاعري المبعثرة التي تلاشت فيها دون حاجةٍ لفُتاتها ولا مبالاة لضياعها، لأن كل ما ترغب به هو أن تمتلك فؤادكِ، ورغم أني ما زلت تائهاً بين الشك واليقين.. إلا أني لم أنحرف مع تيار الإستسلام، لأن الخضوع للجبناء، والقلب الجبان لا يقوى على الحب، وعار علي فعل ذالك، ما زلتُ في أول الطريق وسأمشيه حتى وإن كان وعراً.

ستون ثانية

"ستون ثانيةً كفيلة بالوقوع في الحب، بحبٍ يخلد للأبد"

ربما لذالك قد وقعت أنا _في تلك الستون ثانيةً_ ودون وعيٍ جرفني تيار صوتك الفتاك إلى هاوية عشقكِ، سمعت بالأمس صوتاً يناديني بإستمرار من طاولة النساء تلك التي تجلسين عليها فصرت ألتفت كالمجنون يمنةً ويساراً والنساء يضحكن علي، لأني كنت أبحث عن من ينادي، ولم أدرك أن قلبي سيُؤسَر في ابتسامةِ ذاك المنادي، لكن اليوم لاحظتك وأنتِ تُدْنين رأسكِ وتكررين إسمي بإبتسامةٍ ساخرةٍ.. ومع ذالك تظاهرت بالغباء وصرت ألتفت وأنا أردد بعنجهية مصطنعة "من ينادي؟" وبالخفي أراقب شفتيك الورديتان تلك وأشعر بالنشوة عندما يخرج من بينهن إسمي، تعلقت بهن جداً وبذالك الصوت الموسيقي الذي لم يرد من قبل أبداً لا في مفاتيح البيانو ولا في أوتار جيتارٍ أو حتى في سيمفونية بيتهوفن، وأنا أراقبكِ.. فجأةً رفعت رأسك نحوي واصطدمتْ بوجهكِ عيناي، وجهِكِ.. ذالك الكوكب الدري الذي لم يُحظى العلماء بإكتشافه بعد، لأنهم موهومون أكثر بالفضاء.. فاكتشفته أنا ولم يلاحظ ذالك أحدٌ من الجالسين، لأنهم لو كانوا يرونكِ مثلما أراكِ أنا لصاروا من

أعظم علماء الفلك ومكتشفي الكواكب النادرة، تأملتُ وجهكِ جيداً، سحرتْني عيناكِ وغزتني تلك الإبتسامة بنورٍ لم أره من قبل، حينها فقط _في تلك الستون ثانيةً_ أيقنت أن ما عشته من عمرٍ قبلكِ لم يكن سوى كابوساً طويلا من عتمةِ واقعٍ سرق من عمري الكثير؛ ومن وقتها آمنت بما قاله "إبن جاسم" في "١١:١١" بأن..

"ستون ثانيةً كفيلة بالوقوع في الحب، بحبٍ يخلد للأبد"

لستُ وحدي

لستُ وحدي، أنتِ معي في كل مكان، وحتى رائحة هذا الورق تحمل عبق عبيركِ، أنتشي بها حتى أخالني برفقتك، فأستيقظ فجأة وأجدني محشوراً بداخلِ مخزنٍ في هذا المعمل اللعين، لست على ما يرام يا غاليتي، فكل ما أدعيتُ أنه الحق.. أستيقظ ولا أجده بجانبي، ولا أدري كيف أصف ذالك، فلا حرفا ولا لوحةً ولا شيئاً من هذه الفنون أستطيع التعبير به عنه، أنا يا عزيزتي أنام على خيالك، وأغفوا على طيفك، أتوسد حبك وأستيقظ على جبالٍ من الأشواق، عجباً لحالي، حتى في منامي أزداد شوقاً، إنني لا أدري كيف وصلت إلى ذالك الحد من الوجد، لم يكن بوسعي تحمل ذالك، لكن عندما أحببتك إتسع فؤادي لكِ، إكتفى بكِ وأزال الكل عن جنباته، أتدرين يا حُلوتي.! لم تكوني وحدكِ في هذا الكون، لكنكِ كنتِ الوحيدة التي استحقت حبي من بين نساء هذا الكوكب، وهذه الكرة تشهد بأني أحبك بقدر عظمتها وما فيها من مخلوقات ومصنوعات.

الذي يمزقنا

أتعلمين ما الذي يؤلمنا أكثر هنا يا عزيزتي؟ الذي يمزقنا بإملاقٍ هي تلك المليونيات التي يلهبها شباب وطني في بداية كل شهر أو نهايته ولا يحصدون منها شيئاً سوى الغلاء والمزيد من القتلى، ذالك يؤلمنا أكثر من جور غربتنا علينا، مساكينُ هم أبناء وطني، يحلمون بوطنٍ جميلٍ ولا يملكون زاداً لبناءه سوى الأمل.

رفاق الثورة

رفاق الثورة، أصدقاء الحلم، اولئك الفاشلين اليائسين من حياتهم الذين فشلواذ في كل شيء فقرروا بناء وطنهم، كانت أقصى أمانيهم وأحلامهم لا تتعدى العيش في منزلٍ صغير بين أركان وطنٍ مسالم، لم تمنحهم تلك العصابات البائدة أمنيةً أخيرةً حتى غدرت بهم في "فض الإعتصام" وكانت آخر هتافاتهم هي "الطلقة ما بتقتل.. بقتل سكات الزول" لكن كان صوت الرصاص أقوى من صمتهم، من يومها عرفتُ أن علو الصوت يقتل كل شيء، لكن الصمت لا يقتل إلا صاحبه.

(١٦)

صباح النور..

ربما تستغربين أنت أيضا لماذا اكتب لك الآن، فأنا لم أكتب لك منذ حلول رمضان إلا تلك الرسالة التي كنتُ أهنيك فيها بحلول الشهر المبارك، لذا لا تتعجبين، فأنا أيضا ذُهلتُ من نفسي عندما وجدتني أكتب لكِ دون درايةٍ مني، فكرت في التوقف، لكني أصررت على الإستمرار، لقد قررت الإعتقال منذ بداية رمضان والإبتعاد عن كل شيء.. حتى الكتابة، وانتقدني في هذه النقطة بعض أصدقائي المتدينين أو _المتطرفين_ إن صح القول، قائلين بأني أعبد "رمضان" بهذه الطريقة وليس "الله" ولذالك فأنا "مشرك" والعياذ بالله.

تبا للبشر، هكذا دائما هم بنو آدم، لايفكرون بطريقة سليمة أبدا، يعترضونك حتى في العبادة، لكني لم أشغل تفكيري بهم.. فقط أنتِ، أنت الوحيدة التي أتمنى في مساء كل يوم أن أستيقظ وأجدك خارج ذهني، لكن هذا لم يحدث، كل مرةٍ أجدك تمشطين ذاكرتي أكثر، لقد أفسدتِ اعتكافي، لذالك كتبت لكِ هذا الصباح.

صباح النور.

24 رمضان1443

تظنني

تظنني أتجاهل مراسلتها لكنها لا تدري بأني لا أمتلك الشجاعة الكاملة لأكوّن جملة وأرسلها لها، وأيضا لا تعلم بأن الحروف تفتقد زينتها عندما تنعكس في مرآة عينيها، أهيئُ نفسي جيداً قبل مواجهتها، وأزودني بالكثير من الأسئلة والكثير من القصائد، وأسلح نفسي بالمزيد من الكلمات والجمل النادرة، وككل كاتبٍ.. يتبخر كل ما أدخره عند رؤيتها، أو في محاولة محادثتها عبر الرسائل أياً كانت، ولا تخطر على بالي سوى تلك الأسئلة الروتينية التافهة التي أكررها لها في كل محادثة، والتي حفظتها عن ظهر قلب، حتى أنها أحيانا تصلني إجاباتها قبل إرسالها "أنا بخير" "الطقس رائع" وبعدها أجد مخزون قريحتي قد نفذ، بخلاف بقية الفتيات، فإنني عندما أراسل إحداهن.. يتربع وحي الكتابة على عرش عقلي، وتهطل كلمات الحب والمراوغة كالغيث المنهمر، خصوصاً منذ قدومي لهذا المصنع "art" لقد تضخمت وحدتي، فصرت أحادث العديد من الفتيات، وأكتب عنهن الكثير لأن هذه البلدة خاليةً من كل شيءٍ.. حتى من البشر

البقال

ذهبت يوما إلى البقال لأشتري قهوةً فوجدت نوعان منها، قال لي إحداهما بإثنا عشر جنيها والأخرى بخمسة عشر، سألته: ولماذا؟

أجابني: لأن هذه "سادة" والأخرى "محوّجة"

فسألته: وما الفرق بينهما؟

رد: لا أعرف،

فقلت له مازحا: إذن فلتوحد سعرهما

فأجابني بمرحٍ قائلا: حسنا، سأجعلهما بسعر واحد، كل واحدة منهن بستة عشر جنيها. ضحكنا معاً مطولا، تبادلنا النكت وأطراف الحديث لمدة طويلةٍ، وأخذت الإثنان بعشرين جنيها.

الحب لا نشيد له

سوف أستجيب لكِ بفيضٍ من طوفان الحب وأتلوا لكِ نشيد الحب أنا وأفواجاً من ملائكة قلبي إن أسمعتني يوماً "أحبك" قد أخبرتني مسبقا أن الحب لا نشيد له لأنه ليس بدولة أو مملكة.. بل هو مثل العالم مجزّءٌ إلى بلادٍ ولكل بلدةٍ بداخله نشيد، ولكن لا نشيد يجمع عالم الحب بأكمله، لكل عاشق مذهب ورؤية يرى بها معشوقه، لكنني تمكنت من تلحين نشيد يجمع عالم الحب بأكمله، لكن لن أطلقه إلا بعد أن تسمعيني موسيقاه.. بعد أن تسمعيني "أحبك" لا تقولي هذا كذب أو مستحيل، فالمحب يفعل المستحيل لإرضاء، حبيبه، والكُتّاب هم أكثر البشر جنوناً لفعل المستحيلات.

آسف

لربما أصبحت من قائمة المغضوب عليهم، أو ربما هكذا كان شعوري، فالخصام حرامٌ في شريعتنا، ومن كان ألدّ الخصام كانت فيه خِلةٌ من "النفاق" لذالك.. فإنني أعتذر حقاً عن حماقتي وخصامي، وإن لم يكن من أجلك.. فمن أجل عقيدتي، فلقد أثنى الله على العافين وأوعدهم الجنة بغير حساب، وإني عفوت وأطلب منك السماح.. آسفٌ على ما بدر مني.

أخشاكِ

خائفٌ منكِ، وأخبرتك مسبقا أنني أخشاكِ، أخشى صمتك ذاك وبسمتك الساخرة أخشى عينيكِ، أخشى هدوئك الدائم، يقولون أن الهادئين بداخلهم أعاصيرٌ من الأسرار وبراكين من الحزن، إن غضب أحدهم يصبح كالفيضان لا يعرف قريبا أو بعيد، هل أطلقت طوفان فيضانك ذاك علي؟ ما السبب أخبريني؟! ما زلت أخشاك، لا أستطيع محادثتك ولا أمتلك الجرأة الكافية لأقابلك وجها لوجه، وكيف يحدث ذالك وأنا أخشى حتى نطق اسمك بصوت عال عندما آتي لكتابته، أنا أخافك سيدتي، وبقدر ما أخشاكِ.. أحبك.

(١٧)

صباح النور، نحن هنا ندعي النور، في كل يوم لكنا لانراه، أقول لأصدقائي في العمل "صباح النور" وعندما يفيق رفاقي من النوم فجرا يرددون على مسمعي "صباح النور" وأولئك النساء اللواتي يرافقننا في العمل يبادلونا تحايا الصباح في كل يوم عند مجيئهن ويقلن "صباح النور".

ندعي النور في كل يوم.. لكننا لا نراه أبداً، ولا نعلم بأنه لا وجود لذالك النور هنا، نعم تشرق شمسنا.. لكن إشراقة بلا ضوء ولا نور، النور حيث انتِ، انت النور وما سواكِ عتمة وظلام.

صباح النور عليكِ يا نوراً يهب لروحي السلام.

حلمي

منطقةٌ هادئة.. بيت صغير.. جيرانٌ طيبون، ثم الزواج منك وإنجابُ طفلةٍ تشبهكِ، هذا كل ما أتمناه وأحلم به، لكن كان للقدر نظرة أخرى حتى في أحلامي المتواضعة هذه.

صباح الحزن

لا خير اليوم ولا نور، ولا وجود حتى لإحدى مسببات السرور، إختبأت جميع تلك الأحاسيس المغلفة بالأفراح خلف دموع صديقنا الحزين، عندما استيقظنا.. وجدناه يبكي، يبكي بحرقة، كنا نظن أنه قد راى كابوساً في منامه ولم يستحوذه، هدأنا من روعه حتى سكن، لكن تغيرت ملامحه، لم تعد كما كانت، ولم يعد ذالك الشخص البشوش الذي يفيق كل يومٍ مبكراً، يعد لنفسه كأسَ شايٍ ويتفرج على فيديوهات "فيسبوك" يضحك بصوت عالٍ حتى يفيق الجميع، لقد شهب وجهه، وأخافتنا حمرة عيناه التي أوشكت على الإحتراق،.. ومرارة تلك الدموع التي نحتت أثراً قاسياً على خديهِ، صمتنا جميعا، ذالك المخزن الصغير الذي نسكنه، والذي يعمه الضوضاء، في كل صباحٍ، صمت اليوم كليا.. حتى المنبهات الصباحية اليوم لا تعمل، بكاءه في ذالك الصباح أفسد علينا كل شيء، سألناه بعد هدوئه، فأخبرنا أن أحد أقرباءه الذي كان مريضا وأرانا بالأمس صورته.. توفى، ما أصعب ذالك الإحساس، ان تنام على أمل أن يُشفى أحداً كنت تدعوا له طوال ليلك.. وتستيقظ بخبر موته في الصباح.. محزنٌ جداً، مدك الله بالصبر يا صديقي، ولا نقول إلا ما يرضي الله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

لم أخُنكِ

لا أعلم بشأن هذا الشعور الذي دهاني، لكنني كلما ذكرت إسمك ارتجت ملامحي وسرت بجسدي قشعريرة لا أقوى على مكافحتها، خرجت من داخلي صرخة مدوية ألهبت زلزالا عنيفاً في زوايا فؤادي فتّته أشلاءً مفرقةً، كل جزء منها في بيداءٍ قاحلة لا مرسى بها أو بشر، ومع ذالك ينطق كل جزء منه شهادة حبك، أتعلمين يا عزيزتي، أنا لا أهتم كثيرا بما يقوله الناس عني، لكني دائما ما أسمعهم يرددون بأني كاذب وأحب الكثير من الفتيات بعدما أخبرتهم بأني لم أعشق سواكِ، يحسبونني أكذب لأنهم رأو في كتبي الكثير من الخواطر والقصائد للكثير من النساء من ضمنهم أنتِ، فقادتهم الظنون بأني أعشقهم جميعا، لكن هذه طبيعة الكتاب، الكاتب مثل موظف الإدارة، يجلس مع كل شخص يأتي إليه أو له منه مصلحة، يحدثه ويتناول معه القهوة في مقهى أوراقه، لكن هذا لا يعني أنه يتعلق بكل من تحدث معه، أحياناً آتي ماراً بطريقٍ ما وأجد إمرأةً.. أكتب فيها قصيدة، لكن ليس كل من كتبت فيها قصيدة.. أحببتها، نعم أنا أكتب للكثير من النساء، لكني لم أخنك يوماً.

(١٨)

صباح النور

سأرسل لكِ مع هذا الصباح باقةً من الزهور التي شتلتها في داخلي، والكثير من الأشواق، أعلم أنني لم أكتب لكِ منذ أيام لا تقل عن خمسة عشر يوماً، لأنني كنت مرهقا، كنت بحاجة إلى راحة، بحاجة الى عزلة تنسيني ما أمر به من أسواء، قد أصابني الكثير من الضنى لهذا تواريت، وإننا نختبئ من أحبابنا أثناء سقمنا.. لأننا لا نريدهم أن يرونا بهذا الحال، حتى لا يقلق أحدهم علينا فيصاب هو الآخر بما أُصبنا به، أنا أحبك كثيرا، بكِ أرى الدنيا نعيما، أكتفي بكِ وحدكِ من بين كل هذه الحشود من البشر، فأنتِ عندي تُقاسين بالعالم.

عن شيءٍ آخر

عزيزتي سماح، مساء الخير عليك، لقد اعتدت أن أحكي لكِ عن يومياتي وبؤس البعد عنكِ.. أما اليوم فسأحكي لك عن شيءٍ آخر، شيءٌ يختلف عن ما سبق، سأحكي لك اليوم عن الذين يسكنون بداخلي، الذين ينامون بجواري وأستيقظ كل يومٍ على ضجيج أصواتهم الرنينة، عن الذين يرافقونني إلى كل مكان ولكن لا يراهم سواي أحد، أريد أن أحكي لكِ عن الذكريات، عن الأشخاص النادرين جداً في حياتي.. وانتِ أولهم، أريد أن أحكي لكِ عن كل ما يخالج عقلي.. أريد أن أكتب لكِ عني، فلقد أتيت إلى هذه الديار من أجل أن أبقى كاتباً ومن ثم أعود إليك، ولكن هناك حديث يقول "إذا أراد الله قبض روح عبدٍ بأرض جعل له فيها حاجه" وأنا قد أتيت هنا لأجل حاجةٍ ما.. لذا فلربما قد أموت هنا، ولست أدري أيمنحنا القدر لقاءٌ أخير.. أم أننا سنبقى هكذا مفترقان على أمل اللقاءِ.. لست أعلم، لكن وحتى إن لم يكن لنا هنا في صحف القدر لقاءٌ.. فإننا سنلتقي دوماً في صفحات هذا الكتاب.. دمتِ بخير.

"الوداع الأخير"

حينما يحل المساء ويأتي ميعاد الغروب.. ضعي هذه المقطوعة على مشغل الموسيقي وتأملي الغروب جيداً، سترينني قابعاً في ذالك الصفار وبين يدي قلمي أكتب لكِ في ذالك الشفق هذه الكلمات.

"مساءُ الخير عزيزتي، أتمنى أن تكوني مستمتعة بمشهد هذا الغروب، وأتمنى أيضاً أن يكون خطي ملائما لنظركِ في هذا الصفار، فلقد تعودت دوماً أن أختار من كل شيءٍ ما يشبه حظي.. لذا قد اخترت من الحبر أسوده، أتمنى أن يبدواِ جلياً.

أما بعد.. فلقد علمونا منذ صغرنا بأن الحب الذي ينموا دون اهتمام لا يدوم، ولكن حدث العكس لما كبرنا، فكل ما اهتممنا به.. أبعدتنا عنه الحياة مبكّراً، أعلم أنكِ قد لا تستوعبي ما أقول.. لكن خذي مثلا: عندما كنت صغيراً كنت أحب والدي بجنونٍ، وكان هو أيضاً يمنحني الحب بعَظَمةٍ، لكنه توفى ورحل عني قبل أن أبلغ العاشرة من عمري، ثم تشبثت بأمي وأصررت على البقاء معها لكن لم تمضي سوى ثلاث سنواتٍ حتى أخذني أخي عُنوةً وسافر بي من أجل أن أتعلم، فبقيت معه حتى كبرت وأقسمت أن لا أفارقه.. لكن هذه المرة هو من اختار الفراق

وهاجر إلى بلدةٍ أخرى، فأصبحت تائهاً في هذه الأرض التي لا أعلم إلى أي وجهةٍ ستقودني.. حتى التقيتك صدفةً فأيقنت شعورياً أن الله قد عوضني عن ما فقدت.. لكنكِ جعلتيني أشك في ذاك اليقين، فلقد ملئتِني هجراً وصداً حتى يئست من كل شيء، لكني تيقنت أنكِ محقةً في ما تفعلين.. وأنا أستحق ذالك، ليس من العدل هذا.. لكن هذه عقيدة الحب، فلقد علمت مؤخراً أن كل الذين أحبو بصدقٍ كانت نهايتهم الحتمية هي الفراق، فمثلا: قد فعل "عنتر" المستحيل.. لكنه لم يُحظى ب "عبلة" ومضى قيس كامل عمره _تقريباً_ ولم يتزوج بليلى، و"روميو" قد ضحى بنفسه.. ولم يلتقي ب "جوليت" لذالك فلا مانع لحدوث هذا في الحب، فالحب مملكة غريبةٌ قوانينها، لذا فلقد آمنت أنا بعدم لقائي بك، ليس يأساً.. ولكن خضوعاً لدستور الهوى، لأنه حتى وإن اختلفت الأسباب والمسببات.. فسيبقى الحب هو الحب.. ولكني سأبقى أنا مستنكراً تلك الأكذوبة اللعينة، فما عاد الحب يعنيني لم أعد أثق في الحب ولا في من أحب، ولا عُدتُ أحب، جميع الناس يفعلون ذالك إلا أنا، لأنه لا يمكنني أن أؤمن بشيءٍ لا أثق فيه، ربما سيسعدك هذا.. بأني أخيرا كفرت بالحب وتخليت عنكِ، أو يؤلمك لأنها لم تتحقق أمنيتك بأني سأجد الأفضل منك، لكن على أية حالٍ فأنا قد قررت أن أخبرك بذالك وأكتب لكِ في هذا الشفق مع هذه المقطوعة من الموسيقي، ولا يهمني إن

كان هو "الوداع الأخير" حقاً أم لا، لأني أصبحت لا أخشى الفراق بقدر مخافتي من اللقاءات التي تكون مصادفةً دون ميعاد.

ولأن هذا اللقاء هو الأخير فيما بيننا فاخترت أن يكون هنا.. في هذه السما بعيداً عن كوكب الأرض.. بعيداً عن غمزات البشر، بعيداً عن همزات الشياطين، بعيداً عن القمر.. بعيداً عن ثرثرة البشر ونظرات الحاسدين، أردت أن يكون لقائنا الأخير هنا على هذا الهامش الغربي من مقهى الغروب السماوي، في هذه الحروف المخطوطة بالأسود على جبين هذا الشفق المصفرّ أسفاً على افتراقنا، لكن لا يهم، فنحن منذ أن تعرفنا على بعضنا لم نلتقي مثلما يلتقي الأحبة أبداً، أريد ألوح عليك من هنا بـ "الوداع الأخير" وأتمنى لكِ حياةً سعيدة، سأتوه مرةً أخرى.. لكن في السماء هذه المرة فلربما أقع في حب نجمة وتبادلني الشعور.. فالكواكب أوفى بكثير من البشر، سأتوه في هذا الفلك.. ولن أضيع هذه المرة، لأني حفظتها جيداً.. مفترقات الطرق تلك التي لا تؤدي إلى شيء.. وداعاً".

وعندما يزول الغروب وتتوقف تلك المقطوعة وأنتهي أنا من كتابة رسالتي هذه.. فكري مع نفسكِ دون وسوسةٍ واستقصي جيدا.. "هل يمكنني الرحيل أو التخلي عن حبكِ؟" .

عيدُ حبٍ سعيد

جميعهم ذهبوا لتبادل الهدايا فيما بينهم.. إلا أنا.. ما زلت قابعاً وحدي في منفايَ هنا أبكيني وأرثيني، رغم أني أحببت وأحببت بعمق، لكن ما زال حبي مكسوراً سجيناً لم تُطلق حريته، ولم يُنطق الحكم في أمره، ورغم ذالك.. فإني أتمنى لكم عيد حب سعيد.

لستُ منهم

يمكنني ملاحظة ذالك، أنا لست من ذالك النوع الذي تبكيه أغنيةٌ ما.. أو مقطوعةٌ موسيقية تذكره بأحدهم، لست ممن يدمنون أماكن اللقيا الأولى ويترددون إليها كل يومٍ حتى بعد الفراق، لست واحداً من ذالك الصنف من الرجال الذين يذهبون حيث تأمرهم عواطفهم، ولا من الذين يتآكلهم الحزن فيجعل من نصف أعمارهم نصيباً للأسى والذكريات، ولا من الذين يتناولون الكحول والمخدرات للهروب من واقعهم.. فإذا ما أردت الفرار من واقعي واختلاق عالَماً يليق بي.. تناولت أقربُ كتابٍ وأنشأت كوكبي الخياليُّ الخاص بي، ولا أنتمي لأولئك الذين يعبرون عن غضبهم بالإنفعالات والشتائم، غالبا ما يكون الصمت هو أسلوبي المفضل للرد على حماقات الآخرين، وإني لأثور في صمتٍ وأفكر في خططٍ شيطانية في حين يظن خصمي أنني هادئ.. لكن العكس، فأنا حين أغضب لا يُهدِأ بالي إلا فنجان قهوة أو الإصغاء لرائعة "چافدي" game of thronesموسيقاي المفضلة تلك، أو الصمت مطولا حتى أستفيق.

عبوري للطريق

يصفوا ذهني وأنا أتمشى، لذالك تعودت أن أفكر وأنا أتمشى، فمعظم الأشياء التي حققتها، فكرت بها وأنا أجتاز الطريق من المنزل إلى العمل ومن العمل إلى المنزل، والكثير من كتاباتي انتقيتها وصححتها أثناء عبوري للطريق، في حين كان يسخر مني رفاقي ويصفونني ب "الملبوس" لأنني لا أفارق هاتفي أبداً، وهذا لأنهم لا يروني سوى في الطريق والعمل، فهم لا يعلمون بأني لا أستخدم هاتفي في المنزل أبداً، ولم يتساءلوا أبداً لماذا أرفض مرافقتهم في المقاهي.

لذالك فإن تلك الحوارات السخيفة التي تراودك وأنت تعبر الطريق، لا تسخر منها، بل جمعها في مذكراتك، أكتبها في يومياتك ثم إقرأها بعد عام، ستجد أنها تستحق جائزة نوبل للأدب، ربما هذا مبالغةً.. ولكنك حقاً ستعرف الفرق بين الشخص الذي كنته والشخص الذي أنت عليه الآن، وستكون بحاجوٍ لأن تشاركها مع الآخرين لإفادتهم.. مثلما فعلت أنا.

أغنية

"أنا عم بحلم ليلي نهار، بالورد المليان زرار"

لا أعلم.. لكني أشتم رائحتك في موسيقي هذه الأغنية وأرى طيفك في ألحانها بل أراكِ أحياناً تلوحين لي من كلماتها، ما كانت لي علاقة بهذه المغنية ولا بمثل هذه الأغاني، كل ما في الأمر أنني استمعتُ لهذه الأغنية أول الأمس في سيارة أجرةٍ كانت تقلني من "رمسيس" إلى "النهضة" في السابعة مساءً عندما كنتُ عائداً من كورس الرسم الذي أردت تعلمه من أجل أن أرسمكِ، وفور سماعي لهذه الأغنية وجدت أنها تشبهكِ للغاية.. ولما وصلت المنزل كنت متلهفا لإستماعها.. لذا فلقد حملتها من الإنترنت وها أنا الآن أستمع إليها وأكتب إليكِ من حبر موسيقاها.

سأحكي لك قصة أخيرة

كان في معملنا أربعُ نسوةٍ كُن لِطافٌ معنا، لا أدري كيف أشكرهن، فلقد جعلن من أصدقائي أولئك الأوغاد البائسين.. رجالا، علَموهم الثقافة، وعلموهم كيف يحافظون على أناقتهم.. والكثير، لكني لم أكن مفتونا بهن، لأني كنت أتحاشى النظر اليهن ليس لغض بصري، ولا خشية ان أغرم بإحداهن وأُهمِل هواكِ، ولا حتى خوفا من أن أرى فيهن شبيهة لك ويُجن بها جنونيَ أكثر.. لا، ولكن خوفا من أن تغريني نظراتهن وأصير سفيهاً مثل أصدقائي البُلُه، أولئك الحمقى الذين ينفقون نصف مرتبهم لشراء أفضل الملابس والنصف الآخر لأزكى العطور وأفخم الخواتم والساعات، يغيرون تسريحة شعرهم بين الفينة والأخرى حتى تظن أنهم عارضي أزياء، لكن.. ليسو سوى مجرد حمقى يعتقدون أن أولئك النسوة يعجبن بهم.. فيتزينوا لهن بكل ما لديهم من نقودٍ.. ويعملون كالنحل في وجودهن، وهن لا يكرمونهم حتى بوضع "ميكبٍ" على شفاههن.. تباً.! يبدو أنه قد أتقن اللعبة.. بل وكسبها أيضاً ذالك الوغد اللعين.. صاحب المصنع، لقد عرف وفهم نقطة ضعفهم.. فاستغلها، ربما هذا هو الشيء الذي جعلنا نشعر بالإرتياح في ذالك المعمل الذي حتى جدرانه قاطبة حاجبيها على الدوام.. حزينة.

إلى صديقي "إبراهيم حسين"

أيا صديقي سلام الله عليك أينما كنت، أتذكر عندما كنت تمازحني وتعاتبني بأن أغلب كتاباتي عن النساء؟ وأني لم أكتب لك شيئاً على الرغم من أنك قد عشت معي الكثير والكثير من الأيام الجميلة والذكريات الخالدة؟ أتذكر عندما أخبرتك يوماً بأني لا أكتب إلا للذين رحلوا واشتقت لهم؟ ها أنت اليوم قد أصبحت واحداً منهم.. من أولئك الذين رحلوا، وها أنذا أكتب اليوم لك من عمقي لما فجأةً سطع برق الذاكرة في عقلي عنك عندما وجدت أحدهم يستمع إلى هذه الأغنية

"يا بلوم لا تنسى.. أمشي ليهم هسه

الكلام بالهمسة.. الفيهو خايل الفدعة

يا بلوم السجعة يا بلوم"

أغنيتك المفضلة تلك، كنتُ لا أطيق سماعها وأنتقدك عندما تسمعها.. لكن الآن أصبحت إدماني، لأني وجدت الأنس فيها، فأحياناً يكون أفضل الأنساء هي تلك الأغاني التى أخفينا بداخلها ذكرياتنا، وأحياناً قد تمر على مسمعك أغنيةٌ تعيد شريط الماضي أمام عينيك عاماً تلو عام، وقد عادت اليوم

سنوات الماضي بأكملها في لحن هذه الأغنية، لقد غادرت يا صديقي وشد القدر وثاق البعد بيننا بمناعةٍ حتى لم يعد هناك إتصالٌ أو رسالة، لا أدري كيف يمكن للأقدار أن تكون بهذا القدر من الوحشية، أن تجعلني أكتب لشخصٍ كنت حتى في وسائل التواصل الاجتماعي لن أرسل له الا المقاطع الصوتية، كيف يحرمني القدر من رؤيته أو سماع صوته؟ لقد جعلني أكتب لك الكثير من الجوابات وأخبأها في دفتري، لأني لا أدري في أي بريد أودعها أو إلى أي وجهةً أرسلها، أتعلم يا عزيزي؟.. لقد حزنتُ كثيراً لأجلك لما وصلني خبر أنه قد تمت سرقة جميع أغراضك عند وصولك للوطن، تلك الأرض الخبيثة التي ما زلت ألعنها، لا أعلم.. لكني حتى ولو عدت فلن أعود من أجل الوطن أبداً، تلك الكذبة التي ابتدعها السياسيون ودعمها الفلاسفة وبعضاً من الكتاب المنافقين.. أنا لا أؤمن بها، لا شيء يدعى وطن يا عزيزي، الوطن حيث اطمأن القلب، وإني آسفٌ جداً لما حدث لك، ويشهد الله أنه منذ رحيلك لم تفارق خاطري أبداً، لأنك لم ترحل.. أنت باقٍ هنا، في شمال صدري من الداخل، أتمنى أن يجمعنا القدر مرةً أخرى _ولو صدفةً_ كما التقينا، حفظك الله أينما كنت.

2022/11/26

ليشهد الله

وليشهد الله يا فاتنتي أني ما أحببت فيكِ شيئا سوى عينيك الساحرتين وأخلاقكِ الحميدة، وهذا ما يفتقده كل إنسان، أغلب الناس يطعئون في هذا الأمر، انهم يتحدون مع شركائهم فقط لأنهم سُحرو بجمالهم.. ولا ينظرون إلى أخلاقهم، وأنت تبحث عن شريكك.. لا تعتمد على جماله الخارجي فحسب.. بل يجب أن تنظر الى داخله، ويا سعد من يمتلك إنساناً صفَت أخلاقه.

في أحرفي صمتاً

لا نور في صباحٍ يطل كئيباً، لست أدري ما الذي ينتابني، لكن إحساسي يخبرني أن شيئاً ما سيئاً يحدث هناك في وطني، لا أعلم أهو الشعور المكثف بالوحدة والإغتراب.. أم أنه الحب يستدرجني لدفع ضريبته؟!.. فإن لكل شيءٍ في الوجود ضريبةٌ.. وعلمت مؤخراً أن ضريبة الحب الإشتياق، وأيما شوقٍ قد شاقني الآن يا معذبتي، أنا دونكِ لست شيئاً يا هاجرتي أحب الوحدة لكني أخشى العيش بمفردي مدى العمر، لذا سوف أكرر محاولة كتابتك في عزلتي صمتاً طالما حييت، أنا أعلم أن ذالك الصمت المكثف ربما سيقتلني يوماً ما، لكن مع ذالك لن أتخلى عنه، لا لأني أرغب في الموت.. لكني على يقينٍ بأن ما أفعله الصواب، لذالك إن طلبت منك العفو يوماً فلا تبخلي على مصافحتي، لأني لا أعلم ما الخطأ ومن المخطئ في الأمر، كلما أعرفه هو أنني رأيتك يوماًما.. فأحببتك.. ثم صددتِني.. ثم ازددت حبا.. ثم هجرتني.. ثم عصاني القدر وعنكِ أبعدني.. فتناولتك صمتاً في أحرفي.

من هي

لربما تساءل الجميع من هي هذه المدعوة "سماح" التي ينعتنا بها هذا الوغد في إهداء كل كتاب؟

أولا أنا لست وغداً.. بل وغداً وكاتب، وهي ليست مدعوة، بل جانية وسفاحةٌ، لكنها لا تقتل إلا من يحاول تسلق تلك الحصون لإكتساب جوهرها الشمالي المقدس، تقتل من يحاول أن يتمشى برفقتها طريق الحب، وكل من يؤمن به، قُتلت من طرف الحُب ذات يومٍ.. فأصبحت قاتلة محترفة فيه، لكني ما زلت أحْبُو إليْها رغم أنها تصيبني بسهام الهجر والتجاهل.

هي ليست إمرأة، هي ملاكٌ في هيئة أنثى، لذالك شُغفت بها حباً، وآمنتُ أن أجمل البدايات هي تلك التي ترتبها الأقدار على أرصفة الصُدَف، دخلت معركتها بإرادتي ولم أستطع الخروج، أُهزمُ في كل نزالٍ.. وأزداد حباً بكل هزيمة، لقد ازددت ولهاً بها، سمراء هي، لكن أسلوبها رمادي، أشعر بأني أكرهها.. لكني أحبها بشدة، شعوري معها متناقضٌ، غريب وغير مفهوم، تماما كحساء العدس الذي نصنعه في "art" نشتريه بكامل إرادتنا ونأكل مجبورين.

هل عرفتم الآن من هي؟

(١٩)

صباح النور، وليس في هذا الكون نوراً سواكِ أراهُ، سأخبرك اليوم بذالك السر الذي طالما رغبت أن يموت بداخلي، لكن وجدتني على حين غفلةٍ.. أموتُ بداخله أنا دون درايةٍ، أعلم أني مسحوقٌ بكِ، وأنتِ أيضاً تعلمين، وكل الناس تعرف ذالك، لكنكِ معقدة مثل شبكة عنكبوتية في كهفٍ أثري قديمٍ ومهجور، أعلم أنك قد مررت بالكثير من بؤس الحياة.. لكن ألم يراودك يوما إحساس أن يكون لكٍ إبنٌ يآنسك أو فتاة نسخةٌ منك تسامر وحدتك وترافقك لكل مكان؟ فقصص الحب الصادقة أغلبها تنتهي بالسعادة، لقد قرأت عن قصص الحب تلك، عن "روميو وجوليت" و "قيس وليلى" و "جميل وبثينة" والكثير منهم التي ربما قد قرأتِها أنتِ أيضاً، لكنني لا أعترف بأي منهن، أولا فإن "روميو وجوليت" ما هما إلا مراهقان قتلهما الحمَقُ، أما عن "ليلى.. وقيس" فإني أراها أيضاً سذاجة، لأن قيسا كان على علمٍ بتقاليد العرب، وهي أن من يجهر بحبه أمام الناس لن يُحظى بمحبوبته، لكنه لم يُبالِ بتلك القوانين وظل يمدحها حتى بعد أن حُرم منها، ومن هنا ندرك أنه ما كان يحبها ليجتمع بها، بل ليتغزل فيها، أما "جميل وبثينة" فما هما سوى طفلان لخّصا

طفولتهما في أبياتٍ شعرية فجوّدها المؤرخون وخلقوا منها قصة حبٍ ذع صيتها بين الناس.

إني لا أرى قصةٌ تستحق الثناء إلا تلك التي نشأت بين فتىً عشريني وامرأةً أربعينية أعجبت به فأرسلت لخطبته، فتزوجها بشرع الله، وظل يذكرها حتى بعد وفاتها، فتلك هي أصدق قصةٍ حبٍ وردت في صفحات التاريخ، إنها قصة الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه والسيدة خديجة رضي الله عنها، فما بالكِ أن نسلك ذاك الطريق؟ إني لا أبتغيكِ إلا حلالا، فأجيدي حلا لعُقدتي.. أرجوكِ، كم مرةٍ قلت سأذهب لوالدكِ وأطلب يدك منه، لكني أكره الزواج التقليدي، أعلم أنه لن يتردد في صُنعِ معروفٍ لي، وأعلم أيضاً أنكِ لن تردي طلب والدكِ وأيضاً لن تخذليني، لكنني كنتُ دائماً أفكر في شيءٍ آخر، أفكر في حياتنا ما بعد الزواج كيف تكون؟ هل ستسير بالحب أيضاً.. أم بالواجبات الشرعية فقط؟!

لذا فأنا لن أتجرأ على فعل ذالك حتى أصل إليك أولا، فلا تبعُدي.

لا أدري متى

أتدرين، لم تستهون بي الأقدار يوما، لكنها كانت تذبحني في كل يوم أو عند كل أمنية، لا أنكر أن الله كان يكرمني بكل ما دعوته به، وفي الوقت المناسب، لكن قلّما يجدني ذالك الشخص الذي دعاه، أتغير في ذالك الحين، لكنني أدركت مؤخراً ان ذالك التغيير الذي يحدث هو ليس تغييراً عاديا، بل هو تسيير من الله على مقام الأمنيات، فنحن نتمنى ونطلب من الله الكثير من الأحلام والأمنيات، ولكن لا ندري بأن لكل حلمٍ أو أمنيةٍ مقام، فمثلا لو جاءتنا هذه الأشياء التي تمنيناها في ذات الوقت الذي تمنيناها فيه.. ربما لن نستطيع التعامل معها، لذالك فإن الله لا يفعل شيئا إلا لخير، لا أعلم بالغيب أنا، لكنني أشعر بأن الله سيفتح قلبكِ لي يوماً ما وأدخله سالماً مطمئنا شاكراً لأنْعُمه، لكن لا أدري متى.

"....."

"هنيئا لكِ أيتها الجميلة، غداً ستصيرين زوجةً ولن أتمكن من رؤيتكِ مجددا، ستذهبين لذاك الذي اختارته أمكِ بغتةً، وأظل أنا العاشق لعينيكِ هنا بين الذكريات والأشواق أستنشق آهات العذاب، لطالما تمنيتك من أول نظرةٍ، لطالما ترجيت أباك حتى آخر رمشٍ بأن يجعلكِ لي، لكنه أخبرني بأن ما اختارته أمك لن تندمين عليه، وهو لا يريد التدخل في شؤونها حتى لا يغضبها، فهو لا يحتمل حزنها، لكن أقسم لك، أن بقدر ما يعشق أمك أباك أنا أدمنك، لكن لم تكوني قسمتي ولن نرضى إلا بما قسم الله لنا وقد كتب الله ذالك وإني رضيت.. لكني كرهتُ الحياة".

طوى تلك الورقة في حزنٍ وأرق بعد أن سقطت عليها دمعته الأخيرة، طبقها عدة مراتٍ حتى صارت صغيرةً، فحشرها في فُرجةٍ ضيقةٍ بمحفظته، وضعها في جيب بنطاله، ثم رمى بنفسه من فوق الجسر مودعاً هذا العالم التقليدي البئيس.

لا أصدق.!

عدتِ مجددا.؟ هل هذا حقيقي؟ هل أنتِ في كامل وعيك أم أنك مخمورةً.؟ فلقد سمعت أن الخمر يعيد الإنسان إلى حقيقته.. فهل أنا تلك الحقيقة.؟ أم أن تلك المقولة مجرد هلوسةٌ قالها أحد الفلاسفة عندما كان في حالة سُكرٍ؟ هل ما أراه هذا واقعاً أم أنني أتخيل.؟ هل أنني أحادثك حقاً..؟ لا لا.. لا أصدق، يبدوا أنني وصلت لمرحلة الشيخوخة المبكرة وصرت أحاور نفسي وحيداً، أو أني قد جُننتُ وأصبحت أحدث شياطيني الذين لا يراهم غيري، لا أصدق أنكِ عدت إلي بعد كل ذالك؛ حسنا لا بأس، أنا لن أردك بعدما عُدتِ إلي، لأن العائد غالبا سيكون واحداً من إثنين، إما غاضباً منتقم.. أو عاشقاً فاض الشوق به، فإن الذين يسرقوننا أو ينتزعون شيئاً من دواخلنا في الغالب لا يعودون، على أيةِ حالٍ فأنا سأقبل عذركِ وأرحب بعودتكِ، لكني قبل ذالك سأخبركِ شيئاً مهماً وهو.

"أنا لم يعد بداخلي متسعٌ لخيبةٍ واحدة، فخذي أعذاركِ وارحلي".

الفالنتاين

تباً.! الجميع الآن في انتظار تلك الساعة الحمراء لينطلقوا بهداياهم لمن يحبون أو _من يدّعون حبهم_ يتبادلون الشوكولاة والدباديب بينهم كالأطفال.. حمقى.

يقدسون تلك الخرافة التي يظنون أنها إفراجا لحرية الحب وهي أصلها: أن "قديساً يقع بحب إبنةِ إمبراطورٍ ويزني بها.. فما كان من الإمبراطور إلا أن أعدمه" وكان ذاك القديس الساقط هو "فالنتينو" الذي أعدمه الإمبراطور "كلاوديوس" في عام "٢٠٧م" والذي اتُخذ من يوم إعدامه عيداً للحب تباً للبشرية، ينزهون الهفوات ويدنسون الطهارة والحقيقة أن..

"الحب لا عيد له.. الحب كل يومٍ، ولا وجود لخرافة الـ"فالنتاين"

شعورٌمؤلم

خرجت من وطني لأجل المال غير مبالٍ بالوطن، والآن أنوي العودة إليه من أجل الوطنية ولا يهمني المال، الفرق هو أني لا أعرف قيمة الأشياء إلا بعد فقدانها، ظننت أن المال في الغربة سهلٌ كالفقر في وطني، لكني علمت مؤخراً "أن تعش في وطنك فقيرا خير من أن تغترب لطلب المال" فطلب المال ليس سهلا كما يعتقد الجميع، عندما نرى أحدٌ منا عاد بالكثير من الأموال بعد سنتان من الغربة.. نحتار، كيف فعل هذا في غضون سنتان فقط؟ لكننا لا نتساءل كيف قضاها هناك، فيوم واحد في الوطن خير من ألف عامٍ في الغربة، إني مثلهم هنا، مثل أولئك المغتربين، لكني مختلف عنهم قليلا، أنا هنا أعمل في كل يومٍ كالنحلة _اثني عشر ساعةً_ ومرتبي لا يكفي حتى لشراء قائمة كتبي.. تباً.. أي بؤسٍ كهذا.؟ أرتب للعودة.. لكنني أفكر في أن "أعد ولن أجد الوضع مثلما كان، أجد كل شيءٍ تغير، فأحصد غربتين، إحداهما في اغترابي، والأخرى في اقترابي".

"شعور مؤلم"

مصابي "لونيلينس"

"دعنى أختلي بنفسي قليلا، فأنا لا أحب معاشرة الآخرين عندما يصبح الأمر خصوصياً، وهذه الأغاني التي تراني أستمعها بخشوعٍ وتسيطر علي بالصمت.. هذه ليست مجرد أغاني، هذه دنيةً أخرى، بداخلها عالم آخر، يسكنه أناسٌ آخرون، لذا أكتفي بالصمت لأني لا أودّ إزعاجهم".

كانت إجابةُ أحد مصابي "لونيلينس" عندما قدم له أحد أصدقاءه كرت دعوةٍ لحضور حفل زفافه، إنهم يفتقرون حاسة الشعور يا سادة.

كن إيجابياً

وإن شعرت أنك لست بخير.. فيجب أن لا تخفي ذالك من أحد، وأن لا تعمل بتلك الحكم التي تنص على أن لا تخبر بحزنك أحداً فهو حتما لن يشاركك إياه، أو أنه سيحزنك بالطريقة نفسها يوماً ما، لا.. كن إيجابيا وأيقن أن المؤمن لا يُلدغ من جحر واحدٍ مرتين، وإن شعرت بحزن يجب أن تخبر الجميع على أنك لست بخير.. حتى وان كان جميعهم يكرهك.. فعليك ان تؤمن يقينا بأن من بينهم شخصاً يحبك وهو الآن يدعوا ويتمنى لك الخير.. وأن لا تنسى بأن الله لا يرد دعوة مؤمنٍ أبداً.

فلنتفق

حسنا، فلنتفق إذن قبل الفراق، ولنملأ فراغ تلك التساؤلات التي أنشأها الصمت في علاقتنا، فلنكن صريحين إذن ولنقم حكمة العدل فينا لنعطي كلٌ منا حقه، أنت من طلب الرحيل أولا.! والمرتحل غالبا يكون قد رأى شيئاً لم يعجبه، وهناك مثلٌ شائعٌ يقول "من طلب الرحيل أعطه ألف عذر لعدم البقاء" لكننا أحيانا نطلب الرحيل لا لرغبتنا في الإبتعاد أو الهجران، لكن لنتأكد من مكانتنا في قلوب الآخرين، من تُعز عليه لا يرضى رحيلك، وأنتِ عليّ عزيزةٌ.. فلا ترحلي، فالبعد مقصلةٌ لإعدام العاشقين، وأنا لم أرتكب جرما.

سأفعل

لطالما وعدت نفسي بأن أرسمك.. فسأفعل، لا تقلقي لن آخذ لوحتك في أي معرض، حتى لا يراك أحدهم فيفتتن بك وأكون أنا السبب، لا تتعجبي وتقولي أن لا أحد يُغرم بإحداهن من صورةٍ عابرةٍ مسمّرة في ورقةٍ لا تمكث سوى بضعة أيامٍ في معرضٍ ثم تُنقل بعدها إلى آخر، فهناك من سُحروا بإناثٍ لم يروهن قط، والكثير من علاقات حب هذا العصر _عصر التكنولوجيا_ نشأت بإرسال صورةٍ عن طريق "المسنجر" ثم تحولت إلى مكالمة فيديو ثم إلى تسكع في منتزهات المدينة ثم إلى إختلاف صغير ألهب اختلافا أكبرٌ.. ثم.. ثم إلى فراق، ثم قصة حب حزينة. مضحك أليس كذالك؟ هه تبا للحب والحزن في هذا الزمان.. لا يهم، على أية حال..فأنا لن آخذ لوحتك معي لأي مكان إذا حدث ورسمتك يوما ما، لكني سأعلقها في معرضي الداخلي وأحلق بها إلى كل مكان.

(٢٠)

صباح النور..

ربما قد تكن فرحتي العابرة هي بريقٌ من إنعكاسِ ابتسامتكِ البريئة غاليتي، قد أكن ساذجا ربما أو تعتبريني موهوماً إن أخبرتك بأني لن أطمئن أبداً في كل يوم إلا بعد أكتب لكِ شيئاً أو أدخلك في وسط جملة من قصائدي أو خاطرة كتبتها في شيءٍ ما، لأن كتاباتي دونك لا تبدوا رائعة، أنت كألوان النجوم المبهجة في وسط لوحةٍ مظلمة، لذا فلقد بدأت اليوم صباحي بالكتابة عنكِ قبل قراءة أي شيء، لأني أفقت من نومي منتشيا سعيداً فأول ما خطر على بالي هو أن أكتب لك.. وها أنا الآن أكتب، أعلم أن الكتابة لا طائل منها لدي الفتيات.. فجميعهن يردن الهدايا أو الزواج أو التطواف في منتزهات المدينة، لكن ولأنك ترفضين كل تلك المبتدعات.. أردت أهديك أحرفي هذه، فوحدك من تعرفين قيمتها دون الجميع، لأنكِ أنتِ الجميع، صباح النور يا كُلي.

رسالة إعتذار

أشعر بألمٍ يفتك خافقي، حزنتُ وكأني قد قتلت نفساً، أشعر بالذنب والخزي.. وكل ما هو سيء، وقد علمتُ الآن بأن كل ذالك هو بسبب ما أحزنتك، لا أدري ما مدى عمق ذالك الجرح الذي بدر مني.. لكنني أعتذر.. حتى وإن لم تراني مخطئاً.. فأنا أشعر بالوجع يمزق داخلي، إنني أنا المخطئ وإنني أنا الآسف.. فتقبل عذري.

الكُتّاب والذكريات

أكثر الناس شفاءً من الماضي هم الكتاب، فإنهم يكتبون ما حدث في حياتهم وما يحدث.. فيفرغون ذواكرهم إن تجاهلوا ما كتبوا، وإلا فإنهم يصبحون أكثر الناس تعذيباً من بغي الذكريات، لأنهم يعيشون لحظات حزنهم مرتينِ، مرةً في وقتها.. وأخرى عند كتابتها، لكنهم بالمقابل يموتون ألف مرةٍ عندما يصبح ذالك ماضياً ويعيدوا قراءته، تتقطع أحشاءهم.. تحترق دواخلهم.. يسيل الدم من أعينهم عندما يرون في أحرفهم أيام ماضيهم بسعادتها وأحزانها، ويقرءون ماكتبوا عن قصص حبهم السابقة، عن الأشخاص الذين التقوا بهم صدفة، عن أوطانهم بعدما بعدما هجروها، عن أشياء لطيفةٍ أحبوها ولم يشعروا بفقدانها إلا حينما جاءوا ليكتبوا عنها، عن بؤس البلاء الذي يحل بهم عندما يرون في سطورهم وجوه أصدقاءهم الذين رحلو، ويسمعون فيها أصوات أحباءهم الذين ماتوا، عندما تعود ذواكرهم إلى تلك الأعوام الغالية التي لا تزيدهم إلا حسرةً وأحزانا، ولكنهم بالمقابل أيضاً يجاهدون ليصنعوا التاريخ منها، حتى وإن كانت قد أهلكتهم بآلامها، فإنه لن يصل قمة النجاح إلا من اعتاد الفقد والخسران.

إسلام

لقد أحزنت قلوبنا برحيلك يا صديقي، لست أدري، لكنني حتى الآن لم أستوعب فكرة أنني لن أراك مجدداً، ما زالت ملامحك مرسومة على جدران هذه الحوائط، ما زالت بقايا أطلال ذكراك مركونة هنا.. في هذه "البنوك" الخشبية وبجوف قلبي، ذالك لا يجوب على خيال أحد، لقد كنت ممتلئاً بالحياة، وكانت فخورةً بك هي أيضاً باقيةً من أجلك.. لكنك غادرتها، ركضت مسرعاً نحو تلك الدار.. الدار الآخرة التي يتسابق إليها الجميع، تلك الديار التي لا يندم مرجوها، تغمدك الله بواسع رحمته.. رحمك الله يا صديقي.. رحمك الله يا "إسلام".

2022/6/2

لأنها عقلي

كلما اشتقت إليها حادثتها عن طريق هذه الأغنية، وكلما احتجتها.. وجدتها تعانقني من بين سطور هذا الكتاب، وكلما رغبت برؤياها أتأملني في المرآة، أو أتنقل بعيناي في جدران تلك المدينة السمحاء، مدينة "أم درمان" العريقة وأشجارها، سماءها.. شمسها.. كواكبها وسحابها، فهي تسكن في كل شيءٍ.. حتى في ابتسامات ساكني تلك المدينة من السُمر وذوي الأعين الخمرية، لكن عندما ارتحلتُ إلى هنا لم أجد شيئاً يذكرني بها.. ورغم ذالك لم أجرؤ على نسيانها، لأنها عقلي الذي أتذكر من خلاله الأشياء.

إشتقتُ جداً

لا أدري ماذا أكتب أو مم أبدأ، لكنني اشتقت جدا لمحادثك، ولا يمكنني إخفاء بهجتي التي زارتني هذا الصباح وأنا أستمع إلى مقاطعك الصوتية القديمة، خِلتني سلطاناً يحادث أميرته عن طريق الخيال، إشتقت لسماع ذالك الصوت الحنين، هلا أتحفتِني به؟ فأنا هنا لم أسمع مثله أبدا، الجميع هنا أصواتهم مثل نهيق الحمير، يصيبني الصداع عندما سماعها، أعيد تكرار صوتك فأشعر وكأني في حديقة غنّاء والعصافير تترنم من فوقي في سكون.

أنتِ مُحقة

أخبريني..!

هل ما زلتِ تقاتلين كل من يحاول الإقتراب إلى باحة صومعتك؟ وهل ما زلتِ تنبُذين أولئك المتيمين الذي يقدسون أحبتهم؟ أو ما زلتِ تلعنين الرجال الذين يقتنصوا ثقة النساء؟ هل ما زلت ترَبنّ الرجال بتلك النظرة الشعواء؟ أما زلتِ تعتقدين أن جميع الرجال خونةً ولا يستحقون الثقة لأنهم عديمي الرحمة مفتقدي الشعور؟ لا أعلم؛ لكن إعتقادك ذالك ربما قد يكون حقيقة، لأنني بالأمس رأيت "فيديو" لشابٍ مصري قام بذبح محبوبته بداخل حرم "الجامعة" لأنها رفضته عندما تقدم لخطبتها، وقال في التحريات أنه قتلها بتلك الطريقة لأنه كان يريد قطع رأسها والإحتفاظ به من أجل عينيها، وأوصى أن يُدفن في حضنها، لا أدري إن كان ذالك صدقا أم أنه أراد أن يختلق قصةً أسطورية تُخفف عنه العقوبة، لكن ما إستنتجته هو "أنكِ مُحقةً" بعدما رأيت آخرَ أيضاً قتل نفسه حزناً عليها، لكنني أتساءلُ دائماً.. هل يصل الحب لدرجة أن يُصبح المحب سفّاحاً؟.. وهل الحزن سيوصل الإنسان إلى درجة الإنتحار؟ لا أدري.. لكن ما وصلتُ إليه هو.. أنتِ مُحقة.

لا يعلمن

تظن النساء، هنا أني أتجاهلن أو أتحاشا محادثتهن، لكنهن لا يعلمن بأني أفعل ذالك لأني أخشى التعلق بهن وأنا أؤمن جيداً بأن الفراق سيكون نهايتي الحتمية وفؤادي لا يتحمل الحرمان، أحبهن أنا، أحترمهن كثيراً وأركز مع أصغر تفاصيلهن، لكنني أتظاهر بالغباء واللا مبالاة وأحافظ على هدوئي أمامهن وصمتي، وأتحاشا حتى النظر في أعينهن مخافة أن تهويني في جروف الهوى، فأنا حتى عندما جئت مغادراً لم أودّعهن، لا لأني أكرههن.. لكن لأن الوداع للغرباء، وأنا لم أشعر بإحساس الغربة بينهن.. حفظهن الله جميعاً.

مروة

هي الوحيدة التي أشعر بوجودها وأعتبرها امرأةً من بين جميع هؤلاء النسوة، لا أدري لماذا.؟ هل لأني أرى فيها شيئاً من تفاصيل أمي أحياناً؟ أم لأنها تغطي لنا فراغ الأمومة التي نفتقده هنا؟ غرباء نحن عند الجميع.. إلا لديها؛ الوحيدة التي تقبلتنا بسوءاتنا وتقلباتنا، تحملتنا إلى حد ما لا يُطاق، وما زال بعض التافهين ينعتونها بأوصافٍ لا تليق إلا بنواياهم الفاسدة، رغم أنها لا تتردد أبداً في إحضار كل طلبٍ يكلّفونها إياه، هي من تجلب لهم "الخبز" كل يومٍ في تلك المنطقة المنفية من جغرافيا المعيشة، وأغلبهم يثرثرون بأنها تحضر لنا الخبز الفاسد _*الرخيص*_ لكن لا أحد يواجهها بتلك الأنباء، لأنهم يعلمون جيداً بأنهم مخطئون، وأنها إن قطعت يدُ عونها فلن يتحملهم سواها أحد، لا تكف عن تزويدنا بالوجبات الجميلة التي تصنعها في منزلها وتجلبها لنا في هذا "المصنع" الذي نعمل ونسكن به، لأننا لا نجيد شيئاً سوى طبخ "الفراخ" الذي لا نتقن صنعه، و "العدس" الذي نأكله رغماً عنا، تهتم بنا.. فتغير لنا الوجبة في حين لا يعبرنا أحد، تلك هي المرأة بمعنى الكلمة، لا تكفي هذه الحروف البائسة للثناء والشكر على ما قدمته لنا من جميلٍ،

لكني سآخذها معي دوماً في كل دعواتي وجولات قلمي نيابةً عن الجميع، للكِ الله يا "مروة" مهما كتبتُ وأكثرتُ فلن تكفي أحرفي لشُكرِ صنيعكِ، حفظكِ الله دوماً أينما كنتِ.

في السيارة

ركبت سيارة مواصلةٍ متجهاً إلى "رمسيس" أنوي العودة إلى "آرت" لجمع بقية أشيائي والعودة النهائية للقاهرة، فاقتربت فتاة جميلة من النافذة وسألتني:

_إلى أين تتجه هذه السيارة وفي أي موقف نحن؟

تلعثمت، وككل مرتابٍ يبحث عن شيءٍ يثبت شكوكه به.. بدأت أفكر في كلمة "نحن" ماذا تقصد بها؟.. فأجبتها بها وأنا أسرح في البعيد

_"نحن" في موقف "النهضة" وهذه السيارة ستتجه إلى "رمسيس"

هزت رأسها متفهمةً، فأحدثت زلزالا عنيفاً بداخلي، سرقت على إثره قلبي بحيلةٍ أغرب من خرافات الخيال، بعثرت كل أفكاري، وأسقطت جميع المقتنيات الأثرية من الحروف والكلمات والعبارات الجميلة التي أخلق الأحاديث بها.. فالتزمت الصمت. جلستْ على يميني في ذات المقعد، فظلتُ أتأملها خلسة دونما تعلم، لكني لم أستطع الصمود أمام عينيها العسليتان اللتان تخفيهما بعنايةٍ خلف نوافذ نظارتها الواسعة المعتمة، لم

أستطع تأملهما حتى ل ثوانٍ متتالية، وسأنفق كل ما أملك من ثروة لمن يمدني بالقليل من الشجاعة لأتأمل عيناها دون ارتباك، رمقتني بنظرةٍ حانيةٍ مصحوبة بإبتسامةٍ خضراء واحتضنتْ حقيبتها اليدوية في صدرها كطفلة أهداها والدها دُميةً بنفسجية بلون فستانها؛ نظارتها السوداء العريضة تشعرني بأني مرَاقبٌ فلا أستطيع رؤيتها، وخُصيلات شعرها التي يداعبها النسيم المتسرب من بين نوافذ السيارة فتتطاير في النواحي، ترتكن في كتفي أحياناً.. وأخرى على زاوية أذني، ألتفِتُ إليها مبتسماً، فتبادلني هي الأخرى بإبتسامةٍ مشرقةٍ وتزيح خصلاتها بدلال، تضم رجليها إلى الناحية الأخرى وتتجه بوجهها نحوي، تحتك بي بكتفها وذراعها بين الفينة والأخرى عن قصدٍ _أو هكذا خُيّل لي_ تنظر ناحيتي بشرودٍ بالغٍ لا أدري إن كانت معجبةً بي أم أنها معجبة بتلك البنايات العملاقة الرائعة التي كانت في الناحية الأخرى من الطريق، لكن لا أظن ذالك، لأنه من المستحيل أن تكون هذه أول مرةٍ تراها، وصلنا إلى "العباسية" وعبرنا ذالك الجسر فسألتني مرةً أخرى ألن تمر هذه السيارة بطريق "صلاح سالم" فأجبتها دون أن أفهم سؤالها جيداً، لأنني كنت في إنتظار سؤالها أو سماع صوتها وقد فاجأتني به "لا، هي متجهة إلى رمسيس" فطلبتْ من السائق أن يتوقف ونزلت.. فنزل معها قلبي في تلك المحطة، ووصلت "آرت" مشوّش الفكر بلا قلبٍ، كانت

عابرةً.. فعبرت بقلبي وتركته يعبّر عنها بالعَبرات في هذه الورقة العِبرية بحروفٍ من عَبير.

"عابري السبيل دائماً هم الأكثر خبرة في سرقة القلوب"

(٢١)

صباح النور..

ربما سيكون هذا الصباح هو الأخير هنا في هذا الكتاب، وسأغلق دفتر مذكراتي هذا وأشرع في واحدٍ آخر، لأنني بالأمس انتقلت من "art" وعدت إلى معملي القديم، هكذا هي حياتي هنا، من شركةٍ إلى أخرى، ومن عملٍ إلى آخرٍ وما غنِيت أبداً ولا ازددت مالا، عدت إلى "إنجاك" وجدت الناس هم وكل شيء في مكانه، لم يزدد أحدا لكنه نقص، نقص اثنان فبات فارغاً، لقد استقل الموت غيابي وعبث بصحف الأقدار.. فأخذ إثنان من أكثر الذين أحبهم، غشيتهم الرحمة، اليوم سأنتقل، إلى اللقاء يا ملهمتي، إلى أن نلتقي في سطورٍ كتابٍ آخر.

12 يونيو 2022

ختاما لا أريد تخصيص أحدٍ منكم، لكني أشكركم جميعاً يا أهل "آرت" وأعتذر لكم جميعاً عن كذبتي الصغيرة تلك، فأنا حين تركت العمل لم أكن أنوي العودة للوطن مثلما أخبرتكم، لكني كنت بحاجةٍ إلى بعض "الكورسات" لأنمّي عقليتي.. فكذبت بإحترافية لتسهيل درب الخروج.. لكني سأعود، فسامحوني، إلى اللقاء.

"أحبكم".

بعض الأوراق المهملة

إليكِ يا أريج

أحياناً يجب أن نعتذر للذين لا نعرفهم، ليس لأننا لا نعرفهم.. ولكن لأننا تجاهلناهم عندما أتيحت لنا الفرصة للتعرف بهم، ولكن يبقى السؤال أين سنجدهم؟ فإن عابري السبيل.. الذين يمرون على حياتنا ثم يتلاشون بعدما يضيفوا عليها شيئاً جميلا أو جديداً أو حتى مختلفاً.. هم نادرون جداً، وكالأشياء الجميلة هم.. لا يمكن إيجادهم بسرعة، وليس لهم مكان محدد يمكنك أن تجدهم فيه عند غيابهم، لأنهم رُحَّلٌ.. وليس للمرتحلين أوطانُ، ولقد كنتِ أنتِ أحد أولئك الذين لا يظهرون سوى مرةً واحدةً في العمرِ لمن أحبه القدر، فمن كان سعيداً.. إستغل تلك الفرصة وسعِد بها عمراً إضافياً، أما من كان تعيس الحظ مثلي.. خسرها وخسر كل شيءٍ واستبدل عمره بأقلامٍ وأوراقٍ ومضى يكتب إليكِ فيها مدى السنواتِ رسائلٌ لا تصلكِ ولا يعلم في أيّ بريدٍ سيودعها، فيجمعها ويضعها في مذكرته ليشاركها مع الآخرين، علّكِ ستكونين أحد أولئك الآخرين فتقرئينها في يومٍ ما ومن ثم تعودين لتسعدي أيامي الحزينة هذه.. أو ما تبقى في عمري من ساعات.. "إن وجدتيني" .

أحياناً

أحيانا يجب أن نتناسى غربتنا قليلا ونستمتع بمثل هذه الأجواء، أن نستنشق هذا الهواء العليل، أن نغني مع هذه الطيور المحتفلة والمحلقة في عنان السماء، يجب أن ننطلق مثلها وننسى مشقات الحياة، يجب أن نحتفي بالأشياء الجميلة حتى ولو كانت بسيطة فالرضا بما قدره الله ليس بالأمر الصعب، لكنه فقط يحتاج إلى قلوبٍ نقية، نقي قلبك وكن من الراضين الحامدين الشاكرين، ويجب أن لا تحمل الكثير من الهموم، فالحياة ليست بذالك المدى من الطول حتى تأخذ لها زاداً من الهموم مقدما، فهي ودون شكٍ ستغنيك عنها فيما بعد، كلها بضعة أيام وتمضي، يجب أن لا نبدأ يومنا بالتكشر والتذمر، فالشمس قد أشرقت من أجلنا، من أجل ابتسامتنا قد ابتسمت هي لنا، ربما قد لا نستطيع أن نوافي من قدموا لنا العون في لحظات حوجتنا لهم، لكن يكفي أن لا ننسى أنهم في يومٍ ما قد أعانونا، ويجب أن لا نعادي من تركونا في لحظات ضعفٍ.. لأننا لا نعلم.. ربما قد كانوا هم أيضا يعانون مثلنا في ذات الأوان.. أو أكثر منا، يجب أن لا نسيء الظن بالآخرين، بالذين لا نعرفهم.. أو من إلتقيناهم صدفةً، فربما قد يكونوا هم ذالك النور الذي

قد يضيء عتمتنا، وأن لا نكتم مشاعرنا بداخلنا، يجب أن نبوح بها فوراً لكل من نحملها لهم ويشعرون بنا، أو نكتبها على أقرب حائطٍ إن لم نجد أحداً يصغي لنا، فصداقة الجدران أحياناً أقوى من حب بعض البشر، فإنك إذا ما نقشت في الجدار شيئا تخبره به.. يظل محتفظا به للأبد، وحتى لو رحلت.. ستجده بعد عودتك.. حتى ولو بعد ألف عام.. إلا إذا هدم الجدار من قبل البشر، لذالك الحياة لا تستحق الكتمان أبدا، والحياة يا أعزائي قصيرةٌ جداً وسيئةٌ للغاية، لكن لو عشناها بالحب ستصبح رائعةً وأطول، فليكن الحب شعارنا في الحياة.

ذاك السحاب

وذاك السحاب قد عاد بي إلى تلك السنوات والأيام التي أهرب من ذكراها دائماً، خصوصاً لما ارتبط بلحن هذه الأغنية التي أستمع إليها بشرودٍ الآن، وعند مرور تلك الجميلة السمراء امامي بإبتسامتها التي لا تفارقها أبداً، لا أعرف ما إسمها.. لكنها تمر أمامي دائما في مثل هذه اللحظات، وكل ما خطرت ببالي ذكرى من طقوس ماضي العتيق ذالك.. وجدتها فوراً أمامي مبتسمةً كعادتها، وكأنها تعلم بأنني أتذكر تلك اللحظات فتبتسم لي لتشاركني إياها أو لتستفزني بإشعالها أكثر، لست أعلم.. ولكن على ما يبدوا أن لها علاقة بذكرياتي تلك، أو أنها ترتبط بها شيئاً ما، لأنه من المحال أن تكون هذه مجرد صدفة.. فقانون الصدفة ليس بهذه القوة، أن تصادف على حين غرةٍ _شخصاً ما لا تعرفه_ ترتبط به ذكرياتك كلها.. هذا ليس ممكنا، ولكن على أية حالٍ.. فكل هذه الإحتماليات بائسة، إحتمالية أن تكون صدفةً، وإحتمالية أن تكون مجرد أوهام؛ لا أهتم، لأنها في كل الأحوال.. قد أصبحت جزءاً من حياتي السابقة، أي جزءاً لا يتجزأ من ذكرياتي، لا يمكنني القول بأنها ليست سوى عابرةً غريبةً مرّت علي في غربتي يوماً فقربتها إلي.. لا، هي من إحدى ذوي الماضي

السعيد، لا لأنها تظهر دائما في لحظات المقدسة.. ولكن ظهورها في هذه اللحظة خصوصاً.. ليس بالأمر العادي أو الإعتيادي، فلحظة اليوم هذه ليست كغيرها من اللحظات، هي لحظة إستثنائية عدت بها لأكثر من عشر أعوامٍ للوراء، حسنا.. لا أستطيع أن أكمل.. لأنني مللت الكتابة، ربما في وقتٍ لاحقٍ سأكمل، لكني أريد أن أوضح لكم شيئاً، إن هذه _البسّامة_ ما هي إلا جناً أو ملاكاً هبط من السماء ليزيدني بالذكريات، هذا إن لم تكن إحدى فتيات ماضيّ السعيد.. إلى اللقاء.

أنا أختنق

أنا أختنق وأشعر بالحزن، أو ربما أحتضر.. لا أدري كيف يمكنني وصف ذالك، أو كيف يمكنني التعبير عنه، فقط ما أعرفه هو أنني لست بحالتي الطبيعية التي أعرفها، فقد صرت أفكر كثيراً في السفر ومغادرة هذه البلاد، أصبحت أفكر كثيراً وأخطط بأن أتخذ خطوةً أخرى للأمام وأذهب إلى أي دولةٍ أخرى، وقررت هذه المرة أن تكون وجهتي القادمة هي "مراكش" لا أعلم؛ ليست لدي معرفةً كافية بها.. ولكن في الأيام الأخيرة صرت أحلم كثيراً "بمراكش" لا أعلم لماذا أرت أن أذهب إليها، لكن مثلما جئت إلى هنا.. أريد أن أذهب إلى هناك، ليس من الضرورة أن يكون هنالك سببا يجعلني أسافر، فالإنتقالات العشوائية هي من أجمل الأقدار، فلا تمكث في مكانٍ واحد كثيرا وأنت تنتظر سبباً مجهولا يقِلُك إلى بلدة أخرى.. فالأسباب لا تأتي بالانتظار، ووجودك وحده سبباً، أنت السبب وأنت المخير في حياتك، فوجودك في الحياة ليس عبثا، لذالك فأنت من يجب أن تتخذ القرار وأنت من ستنفذ. أنا الآن متشوق جدا للرحيل ولرؤية تلك المملكة، ولكن هذه مجرد فكرة، لكني أؤمن بأن الأفكار بإمكانها أن تنموا وتتحقق.. لكنها لا تموت، لأنني أحقق دائما ما أفكر فيه

ولكن هذه الفكرة تبدوا خيالية نوعاً ما، لأنني لا أملك حتى قوت يومي، لكني مؤمن بتحقيقها، لأني مُصر كإصراري مثلما جئت إلى مِصر، وأوعد نفسي بأنني يوما ما سأذهب إلى "مراكش" وأقرأ هذه السطور من داخل "قصر الباهية" .

مثل

مثل عينيكِ التي ترافقني دوما في الواقع والخيال، مثل ابتسامتك التي تلوح لي في ذالك السراب البعيد فأنجذب إليها.. ودون شعورٍ تجدني هاوياً في دخاخينها دونما أعلم، مثل صدأ الماضي الذي يتملّك فؤادي رويداً رويداً ليصيبه بالشيخوخة قبل أن ياتي الأوان، مثل يدي التي ترتجف عندما أمدها نحو الريشة لأرسمكِ، مثل كل تلك الأشياء النائية التي تمزقني أحياناً عندما يمر طيفك حبواً بأطراف قدميه على سجاد ذاكرتي.

على الظروف

أحيانا يجب أن نشكر الأقدار على الظروف التي نمر بها غصباً دون إرادتنا، لأنها تظهرنا على حقيقتنا، وأحيانا تظهر فينا أشياءً جميلة متخفية بداخلنا ما كنا لنكتشفها لو لا أن مررنا بهذه المآسي، لكلٍ منا بداخله شخصٌ آخر، شخصاً بإمكانه تغيير هذا العالم أو التأثر فيه لو أنه أطلق تلك الفكرة أو الأفكار التي يخبئها في داخله، لكلٍ منا فكرة او شيئاً لو أخرجه لاستفاد منه الجميع، لكن الحياء والخجل والشعور بعدم القَبول هو ما يحبطنا ويجعلنا نكتم بداخلنا أشياءنا الرائعة، يجب على المرء أن يكون شجاعا ويقفز في كل معركة يؤمن أنه سيغير فيها فيها شيئا أو يؤثر بها بطريقة إيجابية في المجتمع، فإنه حتى لو خسرها فلن يكون خسرانه عبثا، سيتعلم الكثير خلال ذالك فالحياة ليست جميعها نجاحات، لابد أن تمر بمرحلة الفشل والإخفاق وأنت تبحث عن النجاح، وإلا فإنك لن تذق لذة الإنتصار أبداً، كن مؤمنا بنفسك وأطلق تلك الفكرة التي بداخلك؛ فهذا العالم الذي تراه قد بُنيَ بالأفكار، وربما قد تبني فكرتك عالما أكثر روعة إن أطلقتها، لا تخشى الفشل والإحباط؛ بل خصص لهما مكانا بداخلك، وكن دائما على إستعداد لإحتضان الخيبة في داخلك، واصنع من الأشياء والأفكار والأشخاص السلبيين طُرُقا إيجابية تفيدك منهم .

ربما لن يشرق القمر

ربما لن يشرق القمر مرةً أخرى لو أنني أخبرتك بقصتي هذه، ليس لأني أحبه او أنني أخشى فقدانه، ولكن لأن القمر يحبك وقد أحببت أنا جميع الذين أحبوكِ، وربما قد تهربين عني بعيداً إن علمتِ بمحتوى قصتي هذه ويختفي القمر أيضاً، فتصبح دنياي فارغةً من كل شيء، لا قمراً يستمع إلي.. ولا حبيباً أكتب إليه، أتدرين.. إننا دائما ما نقدس الذين نحبهم أو الذين أحبونا لا لشيءٍ. إلا لأننا أوفياء، ولكن على الرغم من ذالك.. فإننا أحيانا نتسبب بأشياء غبية في شأنهم، وإن كان ذالك بعلمنا أومن دونه فإنه بالطبع لن يكون عمداً أو بقصد حزنهم، ولكن لأننا بشر والبشر خطاؤون، لذا فلن أستطيع أن أعصم نفسي دون الجميع بأن لا أنسى أو أخطئ، وقد تجاوز الله عنا ذالك بالعفو والغفران، لذا فأرجوا منك أن تعذريني أولا قبل أن أحكي لك أي شيء. أحيانا يجب أن نظهر على حقيقتنا مهما كلف الأمر ومهما يكلفنا فأن نكن واضحين.. تلك قِيَمٌ لا يمتلكها إلا الأنقياء، والصراحة صفة لا يمتلكها إلا الأوفياء الذين يريدون الإحتفاظ بما يملكون من نعم لا يريدون أن تنتهي في وقت يحتاجونها فيه، ولذالك فأنا هنا الآن من أجلكِ، من أجل أن أحتفظ بكِ، من

أجل أن لا تنتهي قصتنا في الوقت غير المناسب، من أجل أن لا ننفرد ونتلاشى مثلما كنا قبل أن نلتقي؛ وربما سنصير أسوأ، من أجل أن لا نتقاسم قلبا تضغ دماءنا نحن الإثنان فيه دون اهتمامٍ لفصيلة الدم، من أجل أن لا نهجر روحا تحملنا بداخلها معا ونعيش فيها دون نقص أو مضايقة أو شرر، من أجل أن لا يبكي العالم حزناً على افتراقنا ويبكي الجميع معه، دعيني أخبرك يا عزيزتي عن الشيء الذي ما زال يتآكل منه داخلي لقد أحببت بعدكِ فتاة اسمها "نورهان" لكنني أدعوها ب "نور"؛ لقد امتلكتني كُلّي وصرت كل ما انتابني شعورٌ بالوحدة أو الإكتئاب أكتب إليها رسالةً لأخبرها فيها بما أشعر وسرعان ما تمتص مشاعري السيئة تلك، لا أعلم إن كنت قد أحببتها حقا أم أنها مجرد نزوةٍ عابرة، لكن وحتى لو فعلت فلن أستطيع نسيانك، أحب من أحب.. لكن يبقى الحب والإخلاص والوفاء لكِ أنتِ، الوحيدة التي سجد لكِ قلبي خاشعاً بكل ما فيه من براءةٍ وإخلاصٍ ووفاءٍ وإيمانٍ ويقيناً بملةِ الحب، أنتِ الحب الحقيقي وكل ما يأتي من بعدكِ ليس سوى فتات من بقاياه، أنتِ الباقية في قلبي وجميعهم عابري سبيل، أحبك وأعتذر لكِ عن ما بدر مني وعن حماقات الحب التي ارتكبتها سهواً.

عند تخوم الغياب

وأنا هنا عند تخوم الغياب بين العودة والخلود شاردٌ ذهني، كل الطرق هنا تؤدي إلى لا شيء، كل الإتجاهات سراب ودخان داكن، أشعر وكأن السماء بحملها قد تدلت فوق رأسي، إنني هنا أتامل كل شيءٍ فيها بوضوح بالغٍ حتى أنتِ أرى وجهك ماثلا هنا أمامي، أحاول إلتماسه.. لكني أخشى أن أؤذيه بيدي التي لم تلمس من قبل مخلوقاً سماوياً، أو أنني أخشى أن ألمسك فتتبخرين ولن أحظى برؤياكِ مجدداً، أو أحترق أنا وأصير رمادا دونما أحقق شيئا مما تمنيت، إنني هنا يا عزيزتي لو لا الكتابة لما كنت كائنا حياً أتنفس حتى هذا الوقت من العمر، لكنها تزيدني حياة فوق حياة كل يوم.

عِديني

عديني أن تكوني معي هكذا للابد، أن أختنق فأتذكرك فتعود أنفاسي إلي، أن اشعر بالوحدة فأستدعي خيالكِ فيؤنسني ويعيد إلي أنسي وأهلي وكل شيءٍ أفتقده هنا في هذه الغربة اللعينة، أنتِ يا عزيزتي إمرأةٌ إستثنائية.. إمرأةٌ ليس مثل كل النساء، أنتِ امرأةٌ خلقت من نور القمر وابتسامات الملائكة، إمرأةٌ خلقت مخصوصة لي.. لتسعدني.. لتبث روح الحياة فيّ، لتريني كيف يعيش الملائكة وكيف حياة الذين هم ليسوا مثلنا، أنا يا حلوتي برفقتكِ أشعر بأني أسعد خلق الله أجمعين، وأنني السعادة نفسها، فقط برفقتك.

قد لا نتمكن

قد لا نتمكن من التواصل مع من نحب، ولكن مهما ساءت الأقدار .. علينا أن نتذكر بأننا في يومٍ ما سنلتقي، سنلتقي مهما طال البعاد.. مهما طال الفراق.. مهما طال الأسى، حتى وإن باعد الموت بيننا.. فلنا هناك تحت ظل الرحمن لقاء، لا لشيءٍ.. إلا لأننا قد جمعتنا محبةً فيه، وللمتحابين في الله ظلٌ عنده في يوم لا ظلّ إلا ظله.

كنا هنا

وذات يومٍ كنا هنا، كنا معا.. وقد أوعدونا بالبقاء، أوعدونا بأنهم لن يرحلوا أبداً؛ ولكن حدث ما لم نتوقعه.. لقد رحلوا جميعا، رحلوا حتى أيقظوا الشك في داخلنا، تركونا نعاود ذاكرتنا وأحاديثنا معا لنُيقن هل هم حقاً أوعدونا بالبقاء حقا؟ أم أنهم حينها كانوا قصدوا الرحيل ومن محبتنا لهم وحرصنا عليهم سمعناها بقاءً.؟! الكثير من الإضطرابات والكثير من الأسئلة المنهمرة سيولا لا حدود لها ولا مطبات توقفها، الكثير من الشكوك التي تراودنا نحوهم، لقد جعلونا لا نثق في أحد ولا نصدق أو نأتمن الذي يحدثنا أو يوعدنا بالبقاء، يا للأسف الطويلِ.. لقد كنا نحبهم.. ولكنهم رحلو؛ غادروا ولم تتبقى سوى ذكرياتهم وأغانيهم التي كانوا يحبونها وأدمناها من بعدهم، لأنها أكثر منهم وفاءً، ونحن خير أوفياء للصادقين.

ولكن

ولكن كان لابد من أن أشاركك قداسة هدوئي هذا، لقد كنتِ دائماً ما تطاردينني في لحظات انشغالي وعندما أدعوك في لحظة صفاءٍ لنرتشف فنجان قهوةٍ معاً.. تهربين وتدعي التغافل والنسيان، ما بكِ يا عزيزتي.؟ ما الذي يبعدك عني صارحيني.. قولِ لي، ما الذي لا تحبينه فيّ؟ هل يزعجك هدوئي شيئا؟ أم أنكِ ما زلتِ خائفةً من أحرفي؟ لماذا يا عزيزتي..؟ هل ما زلتِ بعقليتكِ تلك؟ أما زلتِ تؤمنين بتلك الأكاذيب التي أوهمتِ نفسك بها؟ ما زلتِ تؤمنين بأن جميع الرجال خائنون؟ لا.. عفواً ايتها الغالية، يجب أن تغيري ذالك المنظور وتلك النظرة الدنيئة.. ليس جميعهم خوَنة، دعكِ من كل هذا، دعكِ من تلك العقليات الهامشية وثقي بي؛ فوالله _أقسم لك_ ولتشهد هذه الأحرف وهذه الصفحات وهؤلاء القراء.. بأنني لن أخذلك أبداً، فقط تعالي وشاركيني هدوئي هذا، وإنني أجلس الآن منعزلا عن الجميع في مكان لا أريد أن يشاركني فيه سواكِ أحداً، على الرغم من أنني ليس برفقتي فنجان قهوةٍ أو شيئاً من هذا القُبيل.. إلا أنني مستمتعاً بصوت "فيروز" وأغانيها المسائية، تعالي واجلسي بجانبي هنا حتى ولو خيالا واسمعيها ماذا تقول "لا تخافي يا فتاتي

فالنجوم تكتم الأخبار، وضباب الليل في تلك الكروم يحجب الأسرار" إنها تدعوك يا عزيزتي.. حتى فيروز تدعوك لمشاركة لحظتي هذه.. فلما العناد يا حلوى؟ هل يرضيكِ أن ترفضي طلبي وطلب هدوئي وطلب فيروز أيضاً.

لست معتاداً

لست معتاداً على التأقلم مع التناقضات التي تحدث في داخلي، ولكن هذه المرة اعتدتُ عليها فانسابت جميعها وهدِأت، جلستْ معي وشاركتني هدوئي ونسيم نافذتي وحبر قلمي، شاركتني أغنيتي الرائعة هذه التي تنتقل بي إلى عوالمٍ خفية، عوالم خيالية خرافية مختلفة لا يسكنها سوى السكون وبعض الأغنيات والأوراق والأقلام وشيئاً من رماد الذكريات الذي يتناثر فوق تلك الفناجين، فناجين القهوة التي ارتشفناها معا في يومٍ ما مع شخصٍ لم يكن الآن موجوداً، فتعالي وشاركيني، لا تتبختري بغرورِكِ على لحظة سعدٍ تعطرها أنغام فيروز، تعالي وأشرقي في عتمتي هذه فالعالم لا يكتمل إلا بك يا حلوتي.

ما زلت أحيا

نعم أنا هنا ما زلت أحيا بروحٍ لا هي روحي ولا جسداً هو جسدي ولا أنفاساً هي أنفاسي، إنني هنا مقتولا على قيد الحياة، يفيض بي الشوق.. فأكتب، ويفيض بي الحزن.. فأكتب، وعندما تغزوني كتائبُ الهم والإغتراب المريرة أيضا أستقبلها بفنجان قهوةٍ وأجلس على سجادتي أكتب؛ لأنني لا أحب المقاعد، فلقد تعودتُ منذ صغري على ذالك، منذ أن كنت أدرس في "مسيد" أبي القديم ذالك على "تُقّابَةٍ" مسائيةٍ أو نور شمسٍ صباحيّ وأكتب على اللوح الخشبي ذالك، لم أنسى أنني كنت أجلس ساعاتٍ وساعات دون ملل، ولم أنسى أيضا تلك المرحلة عندما كنت مبتدئاً ولم أترق إلى مرحلة اللوح بعد، حينها أتذكر عندما كنت أكتب الحروف على الأرض، كنت أتعب أمي كثيراً بغسيل ملابسي في ذالك الوقت، لكنها على الرغم من ذالك كانت تبدوا سعيدة للغاية خصوصاً لما آتي وأقص لها ما حفظتُ اليوم، كانت تبدوا أكثر سعادةً وأنا أؤنسها بذالك في ساعة الغسيل، فأحياناً كانت ترسلني لأجلب المزيد من الملابس الغير نظيفة فقط لتمتد جلستنا، كانت تعشق أن تراني نظيفاً دائماً وكانت تكافئني بالألعاب والحُلوى دائماً كل ما أجيء من المسيد حافظاً

لما أُعطيت من أحرف، ولا يهمها أمر تلك الأتربة وذاك الغبار الذي يعلو ملابسي، ولكن الآن.. الآن لا مسيداً ولا أما ولا لوحاً ولا حتى تربةً تشبه ترتبة ذاك الوطن، إن الإغتراب لعنة حقا يا أصدقاء، عندما تسعد يشاركك الجميع فرحتك ولكن عندما تحزن لن تجد أحداً بجانبك ولن تحتضنك سوى السطور وبعض الأغنيات الوطنية.

مرةً أخرى يا أريج؟

مرةً أخرى؟ مرةً أخرى يا أريج.؟ رفقاً بي يا عزيزتي فأنا مثلكِ بشراً تُدميني الذكريات ولا أحتمل لقلبي أن يتصارع نبضه بهذا الجنون، ربما هذه هي لعنة الذكريات حقاً.. هذه هي لعنةُ الذكريات عندما تتعلق بالأغاني، أنا أحترق الآن يا عزيزتي، أشتوي من سعير الذكرى في داخلي، تذبحني تلك الأغنية عنوةً وتقطّعني ألحانها إرباً إرباً، ناهيك عن موسيقاها التي تحرقني فتاتاً وتذروني لرياح العذاب لتحلق بي في مدن الضياع والإغتراب، والأقسى من ذالك هو أنكِ حتى الآن لا تعرفي من أنا، ولا حتى أنا إن سُئلت من أنتِ حقاً.. لن تُسعفني الأجوبة، شيءٌ مؤسفٌ للغاية يا أريج؛ أن لا نتعرف على بعضنا في لحظةٍ قد سمح لنا القدر فيها بذالك وأباح لنا فيها كل شيء، مؤسفٌ جداً ان ننتمي لبعضنا.. ثم نمسي غرباء لا تجمعنا سوى الذكريات وبعض الاغنيات، أن يمنحنا القدر فرصة عناقٍ طويلٍ.. ثم تسحبه الحياة منا وتفرقنا في لحظةٍ كانت ستخلدنا أبد الدهر في صحف العاشقين.. ليحتضننا الأسى فيما بعد، ولكني يا أريج مهما غنيت أو كتبت لن أستطيع وصفك أبداً، أنتِ أنثى لا يمكن أن تصفها الحروف، ولكني سأبقى وفياً لأجلك ولأجل ما بيننا،

ومن أجل أن أحيا سعيداً، سأكتبكِ هنا لأقرأكِ في أية لحظةٍ إشتقتكِ فيها، لأحملكِ معي إلى أي مكانٍ أذهب إليه، لأزوركِ في هذه الصفحات إذا ما توقفتِ عن زيارتي أنتِ، إنني يا أريج.. أحتفظ دائما بالذين يحاولون الإختباء مني أو الرحيل عني في سطور كتبي، وأُلَمْلِمُ جميع الذكريات والأشياء الجميلة وأخبئها في أغنيةٍ ما عندما أستشعر رحيلهم، لأبتسم فيما بعد عندما تمر على سمعي تلك الأغنية، وفي غفلةٍ قد استمعت اليوم إلى تلك الأغنية التي وضعت فيها كل ما يتعلق بكِ.. فابتسمت كثيراً.. وهذه السطور هي جزءاً من ابتساماتي التي أهدتني إياها ذكرياتك المخبأة في تلك الأغنية التي كان عنوانها "باين عليك".

هُدنة الوصول

أؤمن جيداً بأن هدنة الوصول في يومٍ ما ستكتمل وسنلتقي أخيراً في مفترق إحدى الطرق التي ستدلنا إلى وجهتنا التي نبتغيها، في يومٍ ما يا عزيزتي سنلتقي ونجتمع معاً في بيتٍ صغيرٍ دافئٍ يملئه الحب وترويه المودة والألفة، وسننجب لهذا العالم البشع أطفالا رائعين ينثرون في وجوه البائسين الإبتساماتِ ويلونون الكون بلون السماء المُزْرَقّ ويُنيرون بإبتساماتهم مستنقع هذا العالم المظلم ليعيدوا له بهجته من جديد، يوماً ما يا حلوتي سنحكي للعالم قصتنا، وسنخبر من بقيَ فيه بأننا فعلناها.. فعلنا المستحيل، ونخبرهم أيضاً بأن فعل المستحيل ليس بتلك السهولة التي يخبرونهم بها علماء التنمية البشرية، سنخبرهم حينها أن النوم مبكراً والإستيقاظ مبكراً هذا روتين الجميع.. وليس الناجحين، الإستيقاظ مبكراً سيجعلك مواظباً على عملك.. وربما سيزيد من دخلك ويفوقك على الآخرين.. ولكن لن يحقق لك المستحيل؛ من أراد أن يحقق مستحيلا لن ينام أبداً.. بل يسهر.. ويسهر.. ويسهر ويتابع سيره نحو حلمه حتى ولو كان بعد قرن، فزارع شجرة "الدوم" يكون على علمٍ بأنه لن يُحظى بأكل ثمارها، ولكنه على الرغم من ذالك

يعتني بها ويواظب عل سقيها.. لأنه يعلم بأنها في يومٍ ما ستثمر، ولكنني يا "سَمْحَى" مهما طال الأجل.. فلن أنتمي إلا إليكِ، أتعلمين.. عندما جئت إلى هذه البلدة كنت أعامل نفسي وكأنني فرداً منهم، أتكلم بلهجتهم.. آكل أكلهم وألبس لبسهم وأحب الأشياء التي يعشقها أغلبهم؛ وسرعان ما أصبح لدي العديد من الرفاق والأصدقاء بخلاف أبناء وطني الذين ما زالوا يحافظون على تقاليدهم؛ وربما لهذا السبب ما زالوا عُزّلٌ وأغراب، لا لشيءٍ.. إلا لأنهم قد اعتبروا أنفسهم غرباء.. وقد أخطئوا في ذالك، على المرء أن يجعل عقله جغرافيا؛ أيّ أن يستقيم ويتأقلم مع أي بيئة أو أي ثقافة في أي بلدةٍ يذهب إليها، عليه أن يتقبل الواقع بالمعيشة على ما يراه وأن يكتم تقاليده وقدسياته في داخله، ولكن.. لا أدري مَن المخطئ في ذالك؛ أنا الذي كتمت قدسياتي في داخلي.. أم هم الذين جاهروا بها؟! ولكنني اكتشفتُ وتأكدتُ بأنني لا ولن أنتمي لهذا الوطن مهما كان، وإنما هي فترة وجيزةٌ من عمري سأقضيها ومن ثم أعود، لكني أنا من اخترتُ أن أقضيها كمواطنٍ وليس بصفتي غريب، لأنني لا أريد أن أتآكل مرتين، مرة منكِ وأخرى من الإغتراب، أريد أن أمكث هنا طويلا لتكون عودتي فقط مرة واحدة وليس مثل أولئك الذين يعودون إلى الوطن ومن ثم يغتربون مجدداً، فمثل هذا يُسمى لاجئاً وليس مواطناً، لأنه يعيش خارج الوطن _غريبا_ وعندما يعود إليه..

يعود إليه زائراً، أستغرب أحياناً من بعض أصدقائي الذين يسخرون مني ويستفزونني بقولهم "إنك لن تعود إلى الوطن مرةً أخرى" بمجرد أنهم عادوا مرةً أو إثنتين، إنني يا أصدقائي حين أقطن في مكانٍ ما.. أسكنه بكل ما في، لأنني أعمل بتلك الحكمة الهندية التي تقول " خذ معك قلبك أينما ترتحل" وقلبي هو موطن كل شيء، لذالك عندما أسكن مكاناً ما.. أسكنه بقلبي، وحينما أتركه.. أتركه بقلبي وأهجره بكل ما فيه، ولا عزيز لي في الأمكنة التي أغادرها، فأعزائي في فؤادي.. وبقيتهم سكنوا الثرى، وقد علّمتُ نفسي بأن لا أعيش وحيداً، فأينما رحلت أو ارتحلتُ سأنشئ عائلةً وأحبةً وأقرباء وأصدقاء، ولو بحثت في قلبي أو ما بين أضلعي.. أو حتى بين سطور صفحاتي فستجد أن كل حرفٍ يحمل الكثير منهم، لأنهم السبب الذي أعيش به ومن أجله، دمتم لي جميعاً عائلةً لا غناء منها.

تحت إرادة الأقدار

شئنا أم أبينا.. فإننا تحت إرادة الأقدار دوماً، لذالك فلا يجب علينا أن نلوم أحداً أو شيئاً قد حدث دون إرادتنا، ولكنني يا "سَمحى" لو تعلمين.. قد انفطر فؤادي ألفَيْ مرة حينما رحلت عنكِ، لقد كنتُ أؤمن بالقدر خيره وشره.. لكن بعد فراقكِ اكتشفتُ أن إيماني كان ناقصا أو ضعيفاً ربما، في بعض الأحيان المرور بالأوقات الكئيبة والظروف السيئة يجعلنا نكتشف في ذواتنا أشياءً لا نعرفها من قبل عنا.. ولن نعرفها لولا أن مررنا بها، فشكرا لتلك الظروف والأوقات السيئة وبعض البشر وأساليبهم الأسوأ، إننا هنا يا سمحتي لو تعلمين كيف نعيش لانصدمتِ حقا، نحن هنا يا عزيزتي نعيش حياةً حيوانيةً لا طائل منها، نفيق في الخامسة صباحاً.. نذهب إلى العمل في الثامنة ونعود في مثلها عند المساء، إثني عشر ساعة عمل؛ دواماً لن يتحمله _الحيوان_ آسف يا عزيزتي إن خرجت عن النطاق شيئاً ما، لأنني الآن في العمل وقد ساء مزاجي قليلا، ولكن على أية حالٍ.. لنا موعداً في يومٍ ما هناك على أرض الوطن، سأفترش لكِ قلبي حينها عندما نلتقي، ونجلس فيه معا على مائدة حبٍ مليئةٍ بالعشقِ والشوقِ الذي احتمل أن يُسجن أعواماً في الغربة خلف قضبان قلبي،

وكلما أردت استبدله بشوقٍ آخرٍ يأوي إلى زوايةٍ من أركانِ قلبي.. يتشبث فيها بقوةٍ ويظل يردد "السجن احب الي مما تدعوني اليه". سنلتقي يا حلوتي وحينها سأخبرك بكل شيء، فمهما طال البعاد أوطال الإغتراب.. ستظلين أنتِ الوطن وإليكِ المصير، فهذه الطريق الطويلة التي لا حدود لها ولا مفترق أو إشارة مرور فيها.. ستكون لها نهاية؛ وربما قد اقتربت نهايتها الآن، لستُ أعلم.. ولكن ما أؤمن به هو أننا لن نكون فيها هكذا سائرين إلى الأبدِ.. إلى ما لا نهاية في رحلة لا طائل منها، لابد من أن تكون هناك نهاية.

وعادت مع قطرات المطر

ما اعتقدت يوما أنها غادرت أبداً، فلقد كانت دائماً ما تحضر في خاطري؛ لكن اليوم عادت مثلما توقعت بأنها ستعود.. ومثلما لم اتوقع بأنها ستعود يوماً في قطرات مطرٍ في يومٍ لم تخبرني بأنها ستجيئُ فيه، الجميع في هذه الأيام يحتفلون بالهالوين _حتى سكان السعودية_ إلا أنا.. أحتفل بعودتها، لقد أخبرتني ذات يومٍ بأنها ستكون برفقتي حتى منتهى الطريقِ.. لكنها أخلفت وعدها وتخلت عني عند أول إحدى مطبات الطريق؛ لم أترجاها لمرافقتي حتى النهاية، وبالمقابل أيضاً تخليت عنها، فأحيانا أن نتخلى عن البعض لا يعني أننا قد "خنا العيش والملح" مثلما يقولون، لأنني في الحقيقة لا أؤمن بذالك.. بتلك الأقاويل "العيش والملح" "العشرة والسنين" وغيرها من الأمثال الشعبية الساذجة، ولكن ما أؤمن به هو أن هناك شخصاً "أصيلا" يصون الود حتى ولو من كلمةٍ طيبةٍ، و"قليل أصلٍ" من مَن ينكرون سنينا وأعواما من التضحية والعشرة، لذا فإن الشيء المنطقي والذي أؤمن أن "العيش والملح" مكانهما المطبخ فقط _وسيتضح لك ذالك مع مرور الوقت_ وأن العشرة لا يصونها إلا وفياً أصيل.. ومن الصعب أو المستحيل على الحصول على

شخصٍ من مثل هذه النوعية. لذا فإننا عندما نتخلى عن البعض ذالك لا يعني أننا "خائنوا العيش والملح" أو أننا قد "هانت علينا العشرة والتضحيات" ولكن هذا يعني: أننا لا يجب أن ننهك أنفسنا ونضيع أعمارنا مع أشخاصٍ نحن نعلم بأنهم لا يستحقون وفاءنا؛ ولكنها عادت، لذا فهي أكثر من وفية _لقد أسأتُ الظن بها_ والذي أسعدني أكثر هو أنها لم تعد وحدها.. بل أعادت معها الكثير من الأشياء، أعادت معها وطني، أعادت معها كل ما أحتاجه وأفتقده، بل وأعادتني أنا أيضاً.. أعادتني إلى تلك الأيام الغوالي لما رأيتُها تلوح في قطرات ذالك المطر ويفوح منها عبيرُ تلك الليالي التي ما زالت عالقةً في زوايا فؤادي، أعادت إلي ذكرياتي، حتى أنني عندما جئت لأكتب عنها.. رفضت أن أكتب لها في مفكرة هاتفي، بل استعرتُ ورقةً وبدأت أحدثها فيها، ذكرتني بأيام طفولتي عندما كنا نزرع في الضواحي البعيدة، نخرج باكراً ونعود في العصريات، ذكرتني بأصدقائي.. بإخوتي.. برفاقي.. بكل ما هو جميل، لم تكن عودتها عبثاً، بل كانت مثل زغرودة بشرى لعقيمٍ رزقه الله أخيرا بطفلٍ بعد انتظارٍ وصبرٍ طال كثيراً، كانت عودتها أشبه بفرحة مظلومٍ فرج الله عن كربته أخيراً، لقد رأيتُ في قطرات ذالك المطر الذي عادت فيه ابتسامات الفقراء وهم يدعون الله شكراً على ما رزقهم من الأمطار، لقد عادت وكانت عودتها أجمل ما حدث في هذا اليوم.. بل في هذا الاسبوع..

بل في هذا الشهر.. بل في هذا العام، بل إن عودتها هي أجمل شيءٍ حدث على مدار العمر كله، فحتى يوم لقياها الأول لم يكن مليئاً بهذا القدر من البهجة والسرور، لقد جاءتني في يوم يحتفلُ الناس فيه بالرعب وأسعدت قلبي، بل وأكثر من ذالك.. فلقد جلبت الأمطار معها لتغسل فساد هذه الأمة الفاسدة التي أصبحت تقدس أعياد عبدة الطاغوت أكثر من قدسياتها، جاءت لتطّهر هذا العهر وتعيد للأمة الإسلامية مجدها.

في وقتٍ كهذا

في وقتٍ كهذا كنا واقفانٍ معا خلف تلك النافذة، مستمتعيْنِ بموسيقي المطر وصوت زخاته، وتزيدنا تلك النسائم التي يهَبنا إياها الهوى.. إنتشاءً وسعادة، آهٍ يا نور.. إنني أفتقد أحدهم، لا أدري من هو؛ ولكن بمجرد تذكره تمرين أنتِ على خاطري، هل أنتِ ذالك الشخص ولكن بشخصيةٍ أخرى وفي بلدةٍ مختلفةٍ بعمرٍ آخر.؟! هل أنتِ ذالك الشخص حقاً وتنكرتِ لي الآن بشخصية نور..؟؛ ام أنكِ أنتِ الحقيقة ولكن في ذالك الوقت تنكرتِ في جسد شخصٍ آخر؟ آهٍ يا نور.. ماذا لو أنني أمتلك _فقط_ معجزةً واحدةً من معجزات ملك سليمان؟ لو أمتلك الريح المسخرة له مثلا؟ تخيلي ماذا سأفعل لو سخرها الله لي بأن تجري حيث أصيب؟ لا شك في أنني كنت سأأمرها بأن تأخذني إليكِ أو تأتيني بك الآن لتتأملي معي هذه الروعة لأني أفتقد أحدهم يا نور، ولا يملأ فراغ ذالك الغائب المجهول سواك يا غاليتي، لذا.. فأنا أحتاجكِ، أحتاجك يا نور.. وبشدة.

جميعنا غرباء

جميعنا غرباء؛ ولكن بالحب نصبح أقرباء، لا يهم ما نصنعه أو ما نفعله؛ المهم أن نقدم المحبة للآخرين، أن نبتسم دائماً في وجوه أحبتنا، وعند لقيانا بالذين لا نعرفهم، أن نكن مخلصين في أعمالنا سواءً في منازلنا أو في مهامنا اليومية، فأن تكن مخلصاً.. لا يعني أن تبذل جهدا أكثر من مجهودك؛ بل أن تعمل على قدر طاقتك ولكن برضاً تام، أن تعمل بمجهود أقل وتصنع شيئاً متقناً، فلا وجود للغربة لو أننا حقاً عشنا الحياة بالحب.

لستُ أعلم

لست أعلم هل أنني اخاف عودتكِ حقاً أم أنني فقط أشعر بذالك.. لست أعلم؛ ولكننا أحيانا يكون شعورنا على حقٍ، ولكن على الرغم من ذالك فإنني لا أنكر أني أحبكِ ولن أستغنى عن ذالك أبداً، ساظل أحبكِ حتى يرضخ القدر لإرادتي ويجعلكِ نصيبي.

غرباء

غرباء خُلقنا لنغترب، أنا أؤمن جداً بهذا الإعتقاد وهذه الفكرة.. فكرة أننا خُلقنا من أجل مهمةٍ ما في هذه الحياة، من أجل منفعة الآخرين؛ ربما سيكون هذا العام هو الأخير لي في مصر لست أعلم.. ولكن خِططي تشير إلى ذالك، لذا يجب أن اتخذ قراراتي من الآن إلى أين سأرحل وإلى أين سأتجه، وإن كنت _منذ أن جئت مصر_ أخطط بالرحيل إلى "المغرب". أخبرني البعض بأنها ليست بذالك القدر من الجمال كما أعتقد، ولكن لا تشغلني آراء الآخرين، ووجهتي القادمة هي "المغرب" ولكن متى تحديداً.. لست أعلم، المهم أنني لن أغترب إلى دولةٍ أخرى قبل زيارتها، انا لا أود الذهاب إلى هناك من أجل مال أو تجارة أو شيئاً من هذا القبيل؛ بل لأستكشف، لأكوّن الكثير من الصداقات، لأخبر أبنائي عندما أتجوز بأني قرأت هذا الكتاب في مصر، وشاهدت هذه المباراة في المغرب، وارتديت هذا المعطف في تونس، وأكلت الزيتون في فلسطين، وتعلمت الوطنية في الجزائر، وعرفت الزعتر في سوريا، والتقطت هذه الصورة في جليد لبنان، و.... و... و....إلخ، أريد أن أطوف كل بقاع الأرض وأذهب إلى كل مكان أحبه، لكن وعلى أية حال.. أنا فقط أردت

أن أخبركِ بأنني سأرحل، وأن هذا العام هو الأخير لي هنا في مصر، _هذا إن لم تحصل أي موانع_ حتى لا تتفاجئي برحيلي، على الرغم من أنني أحب المفاجئات.. إلا أني لا أريد أن أفجعك مثلما أفعل مع الآخرين، ولتعلمي أيضاً بأني لم أخبر سواك أحدا.. فلتحفظي هذا السر فيما بيننا، أعلم أنكِ لن تبوحي به لأحد.. لكني فقط أردت ان أنبهك وأخبرك أيضا بأنني لا أبوح لأحدٍ سواكِ بأسراري، لأنكِ يا سَمحى أنتِ الوحيدة التي تجيد فن الإحتفاظ بأسرار الآخرين، وأنتِ الوحيدة التي وثقت بها قبل أن أتعرّف عليها، فلتكوني في حفظ الرب دوماً.

"لو صحيح غنينا بالدمعة الحزينة"

أساءل نفسي دائما: ماذا كنا سنفعل أو بماذا كنا سنعبر عن مشاعرنا إن لم تكن هناك وسيلة الكتابة؟ فلا أجد إجابةً كافية، أو ربما أنني أعرفها ولكني أتحاشا التحقق فيها خشية الهلاك، لأن الإجابة في غالب الأمر ستكون: أننا سنموت كمداً من الكبت والكتمان، إننا هنا يا أصدقاء لا سبيل لنا للهروب من فوضى مشاعرنا الفتاكة إلا بالكتابة، لذالك فلربما هذا هو أكثر ما نجيد فعله نحن هنا، أن نحزن فنكتب، فنقرأ ما كتبناه.. فنحزن مرةً أخرى.. فنكتب، ثم نعيد ما قرأناه، وهكذا سلسلةٌ من الاحزان التي لا آخر لها، أتدرين يا حلوتي.. نحن في هذه الديار تهيجنا أقل الأشياء وتعيدنا إلى الماضي، حيث الطفولة.. حيث الوطن.. حيث الذكريات.. حيث تلك الأيام الغوالي، وإننا يا عزيزتي لا قوة لنا نكبح بها تلك الأعاصير والأفواج من الذكريات والحنية والإشتياق، فلو أننا كنا نعلم بأنها ستهلكنا هكذا لما عشناها منذ البداية، أو لما خلدناها في صدورنا، لكنني كثيراً ما أساءل نفسي: هل أنا وحدي من تذبحه الذكريات هكذا.. أم أن هناك من هم مثلي أو أشد مني؟ لربما قد يكون هناك من هم أشد مني هلاكاً من الذكريات ولكن ليس بنفس الطريقة،

ستسأليني "كيف.؟".. أجيبكِ أن: كوخ الذكرى مثله مثل السجون، ستجد أن العمالقة من المجرمين _من رجال الدولة وكبار التجار من مروجي المخدرات وتجارة البشر وغيرهم_ تختلف سجونهم عن الآخرين من الأبرياء والمظلومين من الفقراء ورجال الدين الذين غالباً ما تكون تهمتهم هي الإرهاب، وهكذا نحن أيضاً _سجناء الماضي والذكريات_ فمن كانت ذكرياته سعيدة يبتسم ثم يبكي، ولكن من كانت ذكرياته حزينة يبكي.. ثم يبكي.. ثم يبكي.. ثم يتناول الكحول ليذهب عقله من أجل نسيانها، أو يخلد إلى النوم كي يهرب بعيداً من مأساته، إن الذين عَلِقوا في مخيم الذكريات يموتون كثيراً ولكن لا أحد يشعر بهم، ولا أحد يفحصهم أو يشرحهم ليتأكد كيف قُتلوا، لا أحد يهتم بهم أساساً، ضحايا الذكريات هم أكثر الناس تهميشاً في صحف التاريخ، ليسوا محظوظون أبداً، لأنهم حتى أيامهم السعيدة تبكيهم عندما يتذكرونها، سجناء الذكريات هم أناسٌ تُهمتهم أنهم عاشوا أياماً سعيدة أو حزينةً ومن ثم خلدوها.. فخُلّدوا بالحبس مدى الحياة في سعير جحيمها؛ ولا سبيل للنجاة إلا في حالةٍ واحدة، وهي عند فقدان الذاكرة، وأنا أحد أولئك الأوفياء الأبرياء التعساء الذين لم يكن ذنبهم سوى أنهم أرادوا تخليد أيامهم وتقديمها للتاريخ.. لكنهم ما كانوا يعلمون بأن التاريخ هكذا جائر، فلجئوا للكتابة ليخلدوا جور التاريخ وهلاك

الذكريات في صحف كتبهم، وإني الآن لا أكتب للتسلية أو من أجل كسب المال.. ولكن لأخف قليلا، ولقد زودتْ هذه الأغنية شجوي، لأن لي في موسيقاها ولحنها ذكريات لن تنسى ولهذا فإنني جعلتها عنواناً لأسطري هذي، لأن جلست أكتب منها منذ بدايتها حتى الآن كررتها إلى ما يقارب الخمس مرة، وعلى الرغم من كل ما كتبته لم يخفف من وجدي شيئا، ما زالت النيران ملتهبة في داخلي وفؤادي يحترق، فيا من مررت بهذه السطور ادع لي بأن تخمد نيران جوفي، ويا من أنت مثلي ردد معي أن "يا نار كوني برداً.. ورفقاً بقلوبنا" وأنت أيا أيها الحنين أمهلنا قليلا، فإننا ما زلنا في ربيع شبابنا، فماذا ستفعل بنا وكيف ستعاملنا الذكرى إن زدنا فوق العشرين عشروناً أخرى؟.. "لطفك بنا يا رب".

لا أجد صوتي

حتى إذا ما أوشكت على البكاء.. لا أجد صوتي ولا حتى صدىً لما يسحقني من ألم، تأكلني غربتي ويوشك قلبي على الإحتراق، أرى تلك الطيور السابحات في فلك السماء فأناشدها وأطلب منها أن تبلّغ حُلوتي هناك تحياتي، ولكَم وددت أن أمتطي جناحها أو حتى لو أشحن معها حقائب شوقي ودمع اغترابي.

رسالة الصباح

أتعلمين يا ملاكي.؟ رسالة الصباح منكِ ليست كأي رسالةً عادية، لأنها يا حلوتي رسالةً مقبلةً من وطنٍ آخر، لأنها رسالةً تحتوي على الكثير والكثير من الحب والشوق وفيها ما فيها من ذكرياتٍ وأحضانٍ وعناقات طويلة المدى، حتى وإن كانت إعتياديةً.. فإنها مختلفةً جداً وتصلني كل يومٍ بطريقةٍ أكثر إختلافاً، تصلني وفي حنيتها شيئاً من أريج الوطنِ، شيئاً من طيبة أهله ومسك أشجاره، شيئاً من دفء شمسه وضوء قمره، شيئاً من روح نيليْه ورائحة تربته، شيئاً من سُمرة ساكنيه وابتسامات صغاره، شيئاً من أغانيه ورقصاته، شيئاً من ألحانه وهمساته، شيئاً من كل شيءٍ فيه، في رسالتك الصباحية تلك يا سيدتي.. تأتيني أنتِ ويأتيني صوت أمي عندما تصحيني لصلاة الفجر، تأتيني ضحكة أخي وابتسامةُ اختي، في رسالتك تأتيني أنتِ وتأتيني رائحة قهوة أمي مع إشراقة وجهها..، ووجه أمي بالوطن أكمله، لذا فإن رسالتك الصباحية تلك هي كل شيءٍ بالنسبة لي، لأنها تجلب لي أفضل الأشياء التي يمكنها أن تجعل يومي بأكملِه مليئاً بالسعادة والإنشراح، لأنها تجلب لي الوطن.. ومن يحمل الوطن معه لا يُعَدّ غريباً، دمت لي وطنا يا وطن، صباح الحب.

zo mu sasanta

أسوأ ما في الأمر هو أنني لا أفهم تلك الأغاني رغم جمالها، لأنني لا أتقن تلك اللغة، ولكن على الرغم من ذالك فإنني أستمتع بها وأردد وراءها كأني كاتب كلماتها أو ملحنها أو عازف موسيقاها، فأحياناً ليس من الضروري أن نعرف ما يقوله المغني حتى نستمع إليه، يكفي أننا نستمتع بما يقدمه لنا، فالأشياء الجميلة ستبقى جميلة حتى لو قدمها لنا الذين لا نعرفهم بطريقةٍ لا نفهمها.

دعيني

فقط دعيني أعيش بجانبكِ، لا يهمني أن أعيش بأمانٍ أو في خطر، ما يهمني فقط أن أحيا بقربكِ، فلقد اطمأن قلبي إليكِ.. وحيثما وُجد الإطمئنان وجد الأمان، والحياة دونكِ لا وجود لها أشعر أنني نازحاً او لاجئاً لا وطن له، أو أنني متشرد نبذه الجميع بَيْدَ أن الجميع يرحبونني بوُدٍ وامتنانٍ.. ولكن لا وجود لهم دون رؤياكِ، لأنكِ أنتِ الجميع، بل أنتِ كل شيء، أنتِ النسائم وأنتِ الأعاصير، أنتِ الشمس وأنت القمر، أنتِ الكون بأكمله، فلا بؤس بقربك ولا سعد في بعدك ولا حياة دون رؤياكِ، لذا فلا تبخلي عليّ بقربكِ، لأني أريد أن أحيا.. وأنتِ روح الحياة.. فأحيِني.

البائسين

إنني أتحدث نيابةً عنهم أولئك التعساء الذين نبذتهم الأقدار وحرمتهم الحياة حياتهم، أتحدث نيابة عن الذين لا يتحدثون كثيراً، عن الوحيدين المنعزلين الذين يعشقون الشتاء ويستمتعون به وحدهم مع أنفسهم، عن الذين يدمنون استماع موسيقى الأغاني دون كلمات، عن الذين لا يطلبون شيئاً من أحد حتى وإن كانوا في أوجّ الحاجة إليه، الذين ينامون في الثانية منتصف الليل ويستيقظون في الخامسة فجراً، إنني أتحدث نيابة عن الذين يُدمي صوت الناي قلوبهم، عن الذين يوفون للذكريات أكثر من البشر.. لأنهم على درايةٍ بأنه لا يوجد في هذا الكوكب أوفياء بعد أولئك الذين غادروهم برفقة الأقدار يوماً، فاحتفظوا بالوفاء لهم وكتموا ما تبقى منه إكراما لأولئك الراحلين، أنا هنا لأتحدث عن ذالك الشيء الذي كتموه بداخلهم، لأتحدث عنهم وعن الأشخاص الذين لا يتحدثون كثيراً حتى وإن أرغمناهم على ذالك.

لستُ شخصاً إجتماعيا

أنا لست شخصاً إجتماعيا، ولذالك فقد كان من الخطإ العبث بأشيائي المقدسة أو الإستهزاء بها أو بي أو بما أحب عن طريق الفكاهة والضحك، لاأعلم كيف يمكنني أن أشرح لكِ هذا يا عزيزتي؛ ولكنني أجمعت على قرار الرحيل، غير أني لا أعلم متى، لم أحدد بعد إلى أي مكان، وما كنت أفعل ذالك من قبل، لأنني أحب الرحيل المفاجئ، وما اعتدتُ أن أشارك أشيائي التي أحبها أو أفكاري مع البشر إلاكِ، لأن البشر يا عزيزتي مفسدون جداً، لكنني سأرحل ولن أخبر أحداً بذالك، لأنني أحب المفاجئات، وفقط تخيلي معي ذاك الشعور، أعني أن تفاجئ شخصاً لا يحبك بالرحيل، أو رحلتِ عن شخصٍ _كان يدبر فخاً_ في أواخر مراحل خطته.

أيمكن

أيمكن أن تكون هذه هي الصدفة؟ وإن كانت؛ فإنني لا أؤمن بالصُدف، أيقن أن كل شيءٍ يحدث لأمرٍ ما، وأن كل شيءٍ مقدر، وحتى لو كانت صدفةً.. فإن قانون الصدفة ليس بتلك السهولة أو بهذه السذاجة، لست أعلم.. ولكن لا يتطلب الأمر لأن أكون حكيماً حتى أكتشف خُدَع الحياة وأخبر الجميع بأن هذه ليست صدفة، فأنا كعادتي لا أجيء إلى العمل في ميعادي المعتاد، دائماً ما أتأخر.. ولكن لم يحدث أن صادفتها من قبل أبداً؛ متسرعةً.. مضطربةً وخائفةً لما وجدتها أمام باب الشركة، وصلنا سوياً وبمجرد وقوفي بجانبها.. انسحبت من جانبي قليلا، حياءً ربما أو ماذا.. لستُ أدري، قلت "صباح الخير" فردت "صباح النور" وأنارت ثغرها بإبتسامةٍ حتى فُتح الباب دون أن نضغط زرّ الجرس عليه.

توخّي الحذر

أعلم أنه كان علي توخي الحذر منذ البدايةٍ.. لكنني لم أفعل، ليس لأنني ناسياً أو غافل.. ولكني تعودت منذ صغري أن أخطوا نحو الأشياء التي يجب علي أن أحتذر منها، ولذا فقد كان علي دفع الثمن، وها أنا الآن أدفعه غالياً.. أغلى مما تتصورين.

كان لابد

كان لابد من أن أسال عنكِ ذات يوم.. لكنني لا أطيع قلبي حتى وإن اطمأننت عليه، لأني أحفظها جيداً تلك الطرق التي لا تؤدي إلى شيء، لذالك فلا تتخيلي أبداً بأنني يوماً ما سأنهار في فخ حبكِ الذي تبنيه لي في كل يوم وتترقبيني من بعيدٍ كي أسقط فيه ومن ثم تهربين عني بعيداً مثلما فعلتْ آنستي القديمة، فأنا يا حلوتي ضحية حبٍ قديمٍ لم يدم طويلا لأني أنا من اخترت نهايته، وفعلت ذالك لأنني لا أحب أن تمر سنوات عمري في الفراغ، ولا يمكنني أن أكرر ذالك الخطأ مرة أخرى ولكن على أية حال وقبل كل ذالك.. يجب أن تعلمي بأنني أمزح وذالك لأني مللت الجلوس هنا في هذا المكان _من داخل هذا المعمل اللطيف_ دون عمل وأردت أن أسلّي نفسي قليلا فتناولت قلمي وأردت كسر حاجز الملل هذا، فقلت سأكتب قليلا وأول ما خطر على بالي هي تلك الأسطر الأولى من هذا النص.

٣ نوفمبر

صباح النور، صباحاً ذابلا يملئه الشوق والحب والشعور المغدق بالحنين، ربما يجب أن لا نبقى ونستمر في هذا الحزن، فلقد عاد الشتاء وبرفقته عاد المطر، عاد ذالك الموسم الذي لا أحب الكتابة فيه إلا في الورق، عاد الماضي، عادت الذكريات، عادت تلك الأغنيات.. أغنيات الشتاء، عاد كل شيء.. إلا أنا؛ وحدي لم أعد، فلقد تغيرتُ وتغير في داخلي كل شيء، لم أعد أنا ذالك الفتى المسكين البريء، فلقد أصبحتُ نسخةٌ أخرى من نفسي، وأصبحت لي احلاماً كثيرة وأمنيات حققت بعضها والبعض لم يتحقق بعد، وكلما حققت حلما أو أمنية.. ظهرت أخرى جديدة، إن الأحلام أصبحت تتدفق في داخلي بغزارةٍ كالسيول التي تجرف منازل الفقراء في وطني عندما يأتي الخريف، ولا أدري ماذا سأفعل، لكني ما زلت راكضاً لتحقيقها ومؤمناً بأن الله لن ينساني أبداً، مهما طال المدى سأحققها جميعاً.

٥ نوفمبر

صباح النور للسعداءِ.. للحزانى.. للذين أرهقتهم الحياة، للذين أبكاهم الليل والذين أدماهم الأمس، صباح النور عليكم.. أتمنى لكم يوماً ممتعاً مليئاً بالسعادة والإنشراح، صباح الخير عليكم وعلى الذين لم تصلهم رسائل الصباح بعد، صباح الخير للقلوب الطيبة والأرواح النقية، صباح الإبتسامات اللطيفة التي تزين ثغور صغارنا، صباح الحنين والسعادة للمغتربين المنفيين الذين يفيقون على لحن أغانيهم المفضلة ليتبادلوا فيها مع أقرانهم رسائل الصباح، صباح الحب للذين يستيقظون على الذكرايات، صباح النور للذين استيقظوا حزانى لأنهم افتقدوا من كان يغمر صباحاتهم بالبهجة والسرور، صباح النور على الآباء والأمهات وأطفال المدارس، صباح النور على شوارع حارتنا والأكشاك التي حولها، صباح النور على الذين يخرجون باكراً من أجل لقمة الحلال، صباح النور للوحيدين الذين لا أحد يترك لهم رسالة صباحية ولو خطئاً، صباح النور عليكم يا أصدقاء.

١١ نوفمبر

صباح النور للذين لا تصلهم رسائل الصباح، صباح النور للذين يستيقظون باكراً ليستمتعوا بالشروق ورائحة القهوة مع زقزقة العصافير، صباح النور للنشطاء الحالمين لعشاق الشتاء، صباح النور للذين استيقظون في العاشرة صباحا لأن اليوم عطلة، صباح النور لجميلتي تلك التي لن يمر صباحاً إلا وازداد شوقي لها، صباح النور إلى أمي التي ما زلت لا أستطيع إكمال يومي دون ذكراها، إلى رائحة قهوتها عند الفجر ودفء نارها في الشتاء، إلى حكاويها إلى غناويها إلى كل شيءٍ فيها.. وكلها جَمال، صباح النور إلى أصدقائي إلى أحبتي إلى قُرّائي إلى الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم، صباح النور عليكم جميعا.

١٤ نوفمبر

صباح النور للذين نحبهم، الذين ننام على رؤيتهم ونستيقظ باكراً على أصواتهم، صباح النور على الذين يبعثون الأمل فينا بإبتساماتهم، صباح النور لأطفالنا لآبائنا لأمهاتنا، صباح النور لكل جميلٍ في حياتنا، صباح النور لأوطاننا، صباح النور لكل الذين نحبهم والذين لا يحبوننا، صباح النور للذين لا يخشون البدايات، للذين يدمنون المغامرات، صباح النور للنشطاء الحالمين الذين يغيرون كل يومٍ شيئاً في روتينهم اليومي ويضيفون شيئاً جديداً، صباح النور للسعداء الذين تناسوا ذكرياتهم واستمتعوا بلحظاتهم السعيدة، وللحزانى الذين يحاولون نسيان ماضيهم ولا يستطيعون، صباح النور لعشاق المناظر الطبيعية صباح النور عليكم جميعاً.

١٦ نوفمبر

صباح النور يا أصدقاء.. هل أنتم بخير..؟ شكراً للرب إن كنتم كذالك، أما عني فأنا لست بخير ولا أدري ما السبب في ذالك، هل لأني لم أنم كفايةً.. أم لأنني استيقظتُ في الثالثة صباحاً على ضوضاء أصدقائي في المطبخ.؟ أم أنه ذالك الكم الهائل من الأكل الذي هرسته معهم ليلة الأمس قد أحدث جلبةً بمائدتي.؟ فما كنت أأكل بمثل تلك الكمية من القدر، وما كانت من عادتي أيضاً أن آكل شيئاً وفوراً أنام.. هل ذالك هو السبب؟ لست أعلم، ولا أدري ما السبب في عدم راحتي اليوم، هل لأنني اسيقظت مرةً أخرى في الخامسة والنصف على صوت بائع اللبن المزعج ذالك الذي وقف بجانب شقتنا؟ أم لأني وجدت أن هاتفي قد نفذ شحنه؟ لا أعلم حقاً، ولكنني إن لم أكن بخيرٍ لما وجدتموني أكتب لكم الآن، لذا فعليكم أن تعلموا بأنني أمزح، لكنني انزعجتُ جداً لما استيقظت في الثالثة فجراً على جلبة أصدقائي في المطبخ.. ولكني بالمقابل سعدت لما ملئت كرشي لذالك الحد، فحتى الآن ما زالت مُترعة، وانزعجت أيضا لما وجدت أن شحن هاتفي قد نفذ ولم يعمل المنبه وتأخر عن موعد استيقاظي بنصف ساعة، لكني سعدت جدا لما

استيقظت على صوت بائع اللبن ذالك في حارتنا البسيطة هذه، وازدادت سعادتي لما لمحته من فوق البلكونة ووجدت بجانبه الكثير من الصغار برفقة أمهاتهن اللواتي يلتففن حوله.. فاستغربت كيف يمكن لهؤلاء الصغار أن يستيقظوا في الخامسة أو ما قبلها وأصدقائي الكسالى هؤلاء ينامون حتى الثامنة ويُحدثون ضجة عند باب الحمام، لكنني أيقنت حقاً أن هناك فرقاً شاسعاً بين من يستيقظ فجراً ومن يستيقظ بعد خروج الشمس، اللهم ارزقنا نشاطاً وأرواحاً مثل هؤلاء الصغار الذين يستيقظون قبل الشروق. وصباح الخير عليكم جميعا.

٢٠ نوفمبر

وأشرقت شمس يومٍ جديد، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، صباح النور.

صباح النور على عصافير بلدتنا التي تستيقظ قبلنا وتغني لنا لنفيق، صباح النور على مؤذن مسجدنا وإمامه، على المصلين من الأهرام والشباب والأطفال الذين يأتون رفقة آباءهم، صباح النور على الذين يستيقظون في الثالثة فجراً لأداء صلاة الفجر ولا ينامون بعدها، صباح النور لأصحابنا وأحبتنا الذين يسكنون في دواخلنا، ينامون بجوارنا ونستيقظ كل يوم على أصواتهم، هم أولئك الذين يرافقوننا بأرواحهم إلى كل مكان ولكننا لا نراهم، صباح النور على الذين لا يحلوا صباحهم إلا بعد قراءة عدة صفحات من كتابٍ يحبونه، صباح النور على الراحلين والمرتحلين، على الفقراء والنازحين.. على اللاجئين، على المتشردين الذين ينتظرون الصباح بفارق الصبر لتشرق شمسهم فيه لأنهم لا يملكون رداءً للشتاء، صباح النور عليكم وعلى الذين لا يملكون أحدا يشعرهم أن هناك صباحاً جديد، صباح النور عليكم يا أصدقاء.

"Malamate"

لربما الأسوأ في الأمر هو أننا لا نفهم تلك الأغاني، وهذه هي الحقيقة، ولكن على الرغم من ذالك.. نستمع إليها؛ ليس لأننا حمقى.. ولكن لنحتفظ بما تبقى لنا من ذكريات لأصحابها الذين رحلوا لنوفي لهم ما وعدناهم به فنحن لا نخلف وعدنا أبداً، "وأخبروا الذين رحلوا بذالك" أخبروا اولئك الذين أجبرتهم الحياة على نسياننا بأنا قد صفحنا عنهم، لأننا أيضا قد أجبرتنا الحياة على نسيانهم، أما الذين ما زالوا يذكروننا في مجالسهم وبين سطور صفحاتهم.. فهم لنا ونحن لهم، لن ننساهم حتى وإن أجبرتنا الحياة على ذالك.

ديسمبر 21

٢١ ديسمبر ②

غرفةٌ مربعة، حيطان، رمادية سريرين قديمين، مرتبتان يسكنهما "المارقود" أو "البق" بابٌ خشبي لا يعمل، إضاءةٌ خافتة، لمبةُ نورٍ مركبة بشكلٍ عشوائي، مفتاح نور لا يعمل شماعة ممتلئة بالملابس القديمة منها والجديدة بترتيبٍ عشوائي، مكتبة قديمة لا يقرأ منها سواي... وبعض الملل.. ولا شي.

١ يناير ٢٠٢٣

Happy buthuday to m"

طلبت من الأيام أن تسرع قليلا فانطلقت بكل ما لديها من سرعة حتى طوت عاماً كاملا من عمري دونما أشعر!

عيدُ ميلادٍ سعيد لي يا أنا

سأحتفل اليوم بعدة أعياد...

أولهما: عيد ميلادي

ثانيهما: ذكرى إستقلال وطني

ثالثهما: دخول عامٍ جديد

مضى عام، وأقبل عام، فيا رب بارك لي في ما قد يأتِ من عمري.

في مثل هذا اليوم قبل ثلاثٌ وعشرون عاماً ولدت أنا، وها قد مضت السنون عاماً تلو أخر حتى بلغت اليوم عامي الرابع والعشرون، ما كنتُ معتاداً أن أحتفل بعيد ميلادي، لكن هذه المرة رأيت أني أستحق الإحتفال حقاً، لأن ذالك العام على الرغم من أنه قد مضى مسرعاً.. إلا أنه لم يمر عبثاً، عاما كان مليئاً بالنجاح والإنجازات التي لم أكن لأتخيلها، ولكن لأن لكل شيء في

الحياة ضريبة.. فقد كانت ضريبته قاسيةٌ جداً.. وهي الوحدة والإغتراب، عاماً خضت فيه الكثير من المعارك والتجارب التي كسبت بعضها وأخفقت في البعض الآخر منها، ولكن أفراح النجاح وحدها كانت كفيلة بأن تنسيني آلام الخسارة، عاماً تعرفت فيه بالكثير من الأصدقاء الرائعين الذين أفتخر جداً بمعرفتهم وبالمقابل تخلصت من بعض التافهين منهم في حياتي، عاماً سأظل ممتناً له مهما بلغت من العمر، لأنه كان مليئاً بالسعادة رغم بشاعته، فاللهم إني أستودعتك نفسي في عيد ميلادي فأنت يا الله خيرُ حافظ لي ، لك الحمد أعطيتني عمراً جديداً ، فاللهم قدر لي الخير فيه ، واختر لي فيه ولا تخيرني فيه يا الله.

١ يناير

حكمة اليوم: جد لنفسك نظاماً متوازياً واستمتع بحياتك

أحيانا تكون حياتنا مكتملةً وفي كامل إلتماساتها، لكننا نشعر بالنقصان فيها، فنتساءل: ما الذي حدث؟ لكننا لا نجد إجابةً وافيةً تمكننا من معرفة أصل هذا النقصان ولكن مع الأيام _أو ربما صدفةً_ سنكتشف بأن سبب ذالك النقصان هو "أننا كنا نعيش حياتنا بشكلٍ عشوائي" ولو أوجدنا نظاماً جديداً أو حتى لو أضفنا القليل من الترتيب فيها.. فإن ذالك سيشكل فارغاً ويغير مجرى حياتنا نحو السير المستقيم، لأننا أحيانا يكون كل ما ينقصنا ونحتاجه هو طريقاً معينةً نسير فيها بشكلٍ طبيعيٍ مستقيمٍ إلى وجهةٍ نحن نريد الوصول إليها، وما ينقصنا هو النظام فقط، أن نضع لأنفسنا نظاماً متوازيا معتدلا لتسير حياتنا على ما يرام أو على النحو الذي نريد وبالنهج الذي نريد كما ورد في هذه الحكمة، وبالمقابل نستمتع نحن بها، فلا تبخل على نفسك بنظامٍ أو ترتيبٍ مميزٍ تدير به حياتك وتمتاز به أنت في نفسك، فذالك سيشكل فارقاً.

٢ يناير

حمكة اليوم: ومن الحب ما قتل

وبينما أنا واقفاً أنوي قطع ورقة التقويم تلك.. رأيت أسفلها هذه الحكمة، وفوراً خطرت على بالي عدة أسئلة.. مثل: كيف يمكن للحب أن يقتل؟ أليس هو سبباً للحياة؟ أليس هو من يحيينا ونحن من نحيا به؟ ولكن فوراً أتاني الجواب بأن الحب سفاحاً قاتلا، ولكن الفرق بين قتله والقتل الآخر.. هو أن ضحايا الحب من القتلى يكونون على قيد الحياة.. كأمثالي وأمثال أولئك المكبوتين الحزانى الذين اعتدى عليهم الحب وجعلهم مثقلون بالكمد مدمنون للعزلة لا يبوحون بأسرارهم لأحد، قَتلى الحب هم أولئك الذين يعيشون بضنكٍ ويكتمون في داخلهم ما أخلفه الحب فيهم من جراحٍ وعذاب، قتلى الحب هم أولئك الحزانى المتوحدين المنعزلين عن الجميع، الذين لا يحدثون أحداً ويتلعثمون في الرد عندما يخاطبهم أحد، يتلعثمون لا لأنهم خجلى أو لا يعرفون الرد، ولا لأنهم جبناء لا يقدرون على المواجهة، ولا لأنهم يفقدون الثقة في أنفسهم، ولا لكونهم لا يجيدون تلك اللغة التي يتحدث بها غيرهم؛ ولكنهم يتلعثمون في الرد لأنهم كتموا كثيراً وحدثوا أنفسهم لدرجة أنهم أصبحوا لا

يجيدون الحديث مع الآخرين، لأنهم كانوا يفكرون كثيراً ويضطربون عندما تمر على خاطرهم عواصف الذكريات التي تنسف بعقولهم وتمحوا الطريقة أو الكيفية التي تمكنهم من الحديث إلى الآخرين، فيجتنبون الجميع ويخافون حتى محادثة الغرباء خوفاً من أن يتعلقوا بهم.. ثم يقتلهم الحب بالفراق مرة أخرى، أو يتجنبوهم لأنه لا مزيد من الفراغات للعابرين في دواخلهم، الحب يقتل.. نعم، ولكن ببطءٍ وبطريقةٍ تختلف عن القتل البشري، يقتل بالبعد.. بالجفا.. بالتخلي.. بالفراق.. بكل ما قد تعتبرونه هيّناً، فهو يستغل أوهن الطرق ليقتل بها أنصاره، لذا فيا من أحببتهم.. لا تبخلوا على أحبابكم بلحظاتٍ إستثنائيةٍ تشاركونهم إياها مشاعركم وتخبرونهم فيها بأنكم تحبونهم، فضلا وتجنباً لموتهم من الحب بالبطئ، دمتم بخير.

٣ يناير

حكمة اليوم: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد.. يقتل الحسد.

"أحياناً يجب علينا تقبل الأشياء على الرغم من أنها لا تناسبنا، فكونك قد فقدت شيئاً ما قد حسدك عليه أحدهم.. ذالك ليس عدم إهتمامٍك به مثلما تظن، وليس هو الحسد، أو ليس الحسد هو ما يفقد الناس أشياءهم الجميلة، ولكنما القدر من يفعل ذالك، إذن تلك هي الأقدار، وعلينا أن نتقبل نصيبنا منها مهما كان، سيئاً كان أو حسنا.. فإن الرضا بالمقادير هو أحد أركان الإسلام، وذالك هو ما قُدر لنا.. وتلك هي حصتنا من أسهُم الأقدار... إذن فلابد من أن نرضى بها لنرضي خالقنا"

هذه الكلمات قالها لي رجلا عجوزاً في يومٍ ما عندما كنت صغيراً، وتحديداً لما وجدني أبكي عندما فقدت دراجتي الهوائية التي جلبها لي والدي بعدما تسببت بعطلٍ بعد أقل من شهر بعد شراءها وركنتها في المنزل لأن أبي رفض أن يصلحها لي وذالك عقاباً لعدم إهتمامي بها، فعلق البعض على عطلها بأنها أعين الناس الراشقة بالحسد، فكان الجميع من الصبيان وأمهاتهم يحسدوني عليها لما يروها وترشق فيها أعين الكل، لذالك عندما

تعطلت.. اعتقدتُ كما اعتقد الجميع بأنها أعين الناسِ الحاسدة، ولكن ذالك العجوز قد غير كلياً نظرتي نحو تلك الرؤيا التقليدية الهالكة لما واساني بتلك الكلمات وأقنعني بأن هذا هو النصيب، وأن هذه هي تقلبات القدر، وفي يومٍ ما بعد تلك الحادثة وبعد لقائي بذالك العجوز بثلاثة أشهر تقريبا، قد أصلح والدي دراجتي وصرت أركبها.. قدّر الله أن تُسرق، وقد علم أبي بسارقها وعرفته أنا أيضا، بل عرفه الجميع ولكن بعد أعوامٍ طويلةٍ _بعدما كبرنا_ فقد كان ذالك السخص طفلا فقيراً من عائلةٍ متوسطة، ولم يكن أبي يريد إحراجه أو بالأحرى إحراج والديه فتستر عليهم جميعاً، ولكني علمت مؤخراً _وقد أخبرني هو بنفسه_ أنه بعدما سرقها بثلاثة أشهر كُسرت ساقه اليمنى، وذالك نتيجة تدحرجه بها من فوق التل _المهم_ أنه عندما سرق هذا الصبي دراجتي.. رميت بكلام ذالك العجوز أرض الحائط وبتُّ ألعنه وأقول بأنه هو السبب في ضياعها، ولذالك.. فاليوم لما قرأتُ هذه الحكمة عندما جئت لأقص ورقة التقويم هذه.. تذكرته، تذكرت ذالك العجوز وساق ذالك الصبي وحوادث القدر أو الحسد مع دراجتي لما كنت صبياً، فتيقنت وآمنت حقاً بأن "الحسد يقتل الحسد" فكونوا صادقين دوماً، شاكرين وحامدين، وإياكم والحسد فإن يسلب منكم أعز ما تملكون، وإنه أعدل خصال الشر كما في هذه الحكمة.. دمتم بخير.

يجب أن أعتذر

كان يجب أن أعتذر، كان يجب أن أتأسف على ما مضى.. وعلى ما أتى .. وعلى ما أنا عليه الآن، أن أعتذر لتلك الحماقات التي كنتُ سبباً فيها، وتلك الدموع التي كنت أنا من تسبب في إنهمارها، عن اللحظات الثقيلة التي توسدتيها وحدكِ دونما أشاركك إياها، كان يجب أن أعتذر عن جُبني وهرعي وخوفي منكِ، كان يجب أن أعتذر.. ولكني لا أجيد لغة الإعتذار، ربما إنني تسبب في الكثير من الفوضى، أعلم أن لكِ إخوةً وصديقات يمكن أن يعتذرن لكِ عن كل تلك الأخطاء، ويعتذرون لك ربما نيابةً عني وعن الذين آلموكِ أو تخلوا عنك في لحظةِ إنهيار كنتِ بحاجة ليكونوا بجانبكِ.. ولكنهم رحلوا دون وداع، أعلم أن هناك من يهتم بكِ أكثر مني، وهناك من يستحقكِ أكثر مني وهناك من هو معجبٌ بكِ أكثر مني، ولكني أقسم لكِ يا غاليتي.. أنكِ لن تجدي من يحبكِ أكثر مني ولو طُفت كل بقاع الأرض بحثاً عنه، ربما سيكون هناك من تحبيه أنتِ أكثر مني،_أو بالأحرى_ من قد أحببتيه أكثر مني، ولكن خلاف ذالك لن تجدي أبداً، حتى وإن كان هناك من تعلق بكِ أكثر.. فإنه سيكون الآن قد رحل وسكن أسفل الهوامش مع الذين أعتذرُ لك أنا الآن نيابةً عنهم، الذين

ما زال صدى ماضيهم يعبث في فؤادكِ دون شعورهم؛ ويعبث بي أنا أيضاً أكثر منكِ، هم ربما لا يعلمون بذالك، أو أنهم الآن لن يمر على خاطرهم بأن هناك أشخاصاً يتعذبون لفقدهم أو من ماضيهم، لقد أصبحتِ يا عزيزتي بسببهم قاسيةً حد الرمادية، وأصبحتُ أنا لا أفهمكِ ولا أفهم حتى ما تبتغين، تقولين لي دوماً بأنكِ تريدين أن تكوني وحيدةً هكذا للأبد لأنك مستمتعةً بعزلتكِ، لقد أصبحتِ غريبةً تتصرفين بطريقةٍ هي الأغرب، وبسببكِ أصبحت أنا كُتلةُ صمتٍ لا مغيث لها ولا ترجمة حتى لهذا الصمت الكئيب الذي يسكن داخلي وأسكنه، أشعر أنني مرهقٌ على الدوام ومتعباً.. غير واعي، لا أعلم إن كان يصيبكِ أنتِ أيضاً نفس هذا الشعور أم لا لكنني وعلى أيةُ حالٍ... لم أشعر بالسلام الداخلي منذ ذالك اليوم، اليوم الذي أخبرتيني فيه بأن أحدهم قد حطمك من الداخل ولذالك لا تريدين الإنخراط في أي علاقةٍ حتى لا تُحطمين الآخرين لأنكِ مصابةٌ بمتلازمة "عدم الشعور" فمنذ ذالك اليوم تحطمتُ أنا، أعلم أنكِ ما كنتِ تريدين لي ذالك.. ولكنه قد حدث، لأن هذه هي سنة الحياة، أن تأتي لك بما تكره أو تخاف عليه أو منه.. وتعصيك فيما تريد، تحطمتُ لا لأني رضغت لإرادة الحياة.. ولكن لأني أحببتكِ.. فصدمتني تلك الجُمل ودمرت في داخلي شيئاً كان نابضاً بالحياة، شيئاً كان هو ما قد جذبني إليكِ، شيئاً كان

يدفعني نحوكِ سراً حتى انهرتُ بالبطئ في جوف جروفكِ.. فقابلتِني أنتِ بهذه اللكمة القوية من الصدمة التي هدمت كل شيء، ولكني لا ألومكِ أنتِ.. بل سأرمي بكل لومي وغضبي وسخطي على أولئك الذين غيروكِ، الذين حطموا ذالك الشيء في داخلكِ فدُمر بالبطئ في داخلي دون معرفتهم، ولهذا فإنني اليوم جئت لأعتذر لكِ نيابةً عنهم وعني وعن الذي لا أعرفهم، جئتُ أتأسف على ما مضى.. وعلى ما أتى.. وعلى ما أنتِ عليه الآن.. فتقبلي عذري.

ما زلت

وما زلتُ حتى الآن أبحث عن مسارٍ آمنٍ لأخرج به من قوقعة أفكاري الساذجة التي تقسم لي بأن الذين رحلوا كانوا أقل قسوةً من ذكرياتهم، أفكاري التي تحثني دوماً على الرحيل وتعلم أشياءً جديدةً او قراءة أي شيء جديدٍ في كل يومٍ أو كتابة أي شيءٍ في وقتِ فراغي _كمثل هذه السطور مثلا_ لا لشيءٍ.. إلا لأحدث تغييراً وفرقاً بين يومي وأمسي، أصبحت أشعر بأنه ليست لحياتي معنىً إن لم أصنع فرقاً بين أيامي، لذا فأنا الآن أقتبس من هذه الموسيقي "Within Attraction" لأسطورة البيانو "Yanni" أصغي إليها بإمعانٍ وأحاول أن أستخراج من أنغامها بعض الكلمات التي ربما ستدلني نحو المسار الصحيح والآمن، ولكني أجد أن كل الطرق تؤدي إلى الذكريات.

٤ يناير

حكمة اليوم: "إن الذين يؤمنون بقدرتهم يستطيعون أن يقهروا كل شيء."

في وقتٍ ما ستدرك أن هناك الكثير من الأشياء التي تفعلها ليست صحيحة، والكثير من الإهتمامات والمفاهيم الوراثية أو التقليدية التي تواصل القيام بها خاطئة، ستكتشف ذالك وسيتضح لك حينها كل شيء، وستندم على ذالك العمر الذي أهدرته وأنت تقوم بفعل مثل هذه الأشياء، وسيبقى قرارك حينها إما أن تتوقف لتعيش سعيداً.. أو أن تواصل وتظل متأسفاً تندب عمرك للأبد، فالكثير ممن يتخذون القرار.. ولكن القليل فقط من ينفذ، لأنه أن تتخذ قراراً.. فهذا أمرٌ بديهيٌ يستطيع فعله أي إنسان، أما أن تنفذه فذالك شيئاً آخر، تلك صفةٌ لا توجد إلا عند الأشداء الذي يؤمنون بأنفسهم ويُيقنون جيداً بأنهم قادرون على فعل أي شيءٍ مهما كان مُحالا، يؤمنون بأنهم قادرون على ذالك من أجلهم ومن أجل حياة سعيدةً لهم ولعائلاتهم، ولذالك فأنت أيضا إن كنت ترى أنك تستحق الأفضل.. فاعتني بنفسك جيداً ولا ترضغ لإرادة مشاعرك، إفعل ما يمليه لك عقلك وكن مؤمناً بنفسك أنك قادراً على فعل تلك الأشياء المستحيلة التي يهرب منها بعض الجبناء "فالذين يؤمنون بقدرتهم يستطيعون أن يقهروا كل شيء."

٥ يناير

حكمة اليوم: "دعوة المظلوم أقوى من الظلم".

تذكرت اليوم عندما قرأت هذه الحكمة.. تذكرتُ قصةً قرأتها ذات يومٍ في كتابٍ لا أتذكر ما إسمه، ولا أتذكر من القصة نفسها إلا القليل، هي قصة طويلة.. ولكن مختصرها أن "أحد الوزراء ظلم رجلا فقال له الرجل: "إتق الله وكف عني، وإلا دعوة الله تعالى عليك" فقال له الوزير: "أدع بما شئت" فما مضت أيامٌ حتى قُبض على الوزير وعُذب، فكتب له ذالك الرجل بهذين البيتين:

سهام الليل لا تهدأ ولكن.. لها أمدٌ وللأمد انتهاءُ

أتهزأ بالدعاءِ وتزدريه.. تأمل فيك ما فعل الدعاءُ

وآن دعاء المظلوم لا يُرد أبداً، وإنه قد أهلك أطغى طاغيةً عرفه الإسلام وهو "الحجاج بن يوسف الثقفي" عندما دعا عليه الذين ظلمهم وكانت الدعوة الأقوى والأخيرة.. هي التي دعا بها عليه "سعيد بن جبير" في يوم مقتله حين رفع يديه قائلا "اللهم لا تسلطه على أحدٍ يقتله من بعدي" فلم يقتل الحجاج بعده أحداً حتى مات في سنة "95" هجرية، ولذالك فإن "دعوة المظلوم أقوى من الظلم".. فاحذروها.

٩ يناير

حكمة اليوم: "لك أذنان وفمٌ واحد، فلتستمع أكثر مما تقول".

من الطبيعيّ جداً أن تجد إنساناً يُثرثر أكثر من عدد مرات أنفاسه، ولكن من الصعب جداً إيجاد شخص يجيد الإصغاء لتلك الثرثرة، أن تستمع للآخرين.. تلك هي صفةُ لا يمتلكها إلا النادرون من العقلاء والأذكياء، لذالك عندما تعلم أنه لا طائل من الثرثرة حاول أن تجيد فن الإصغاء، حاول أن تكون أحد أولئك النبلاء النادرين الذين يجيدون فن الإستماع ويؤثرون الصمت على الدوام، الذين لا يتحدثون كثيرا ولا يفتحون فمهم إلا في لحظات الضرورة وحتى في تلك اللحظة لا يقولون إلا ما يفيد، يصغون لكل ما يُقال.. ولكنهم لا يقولون إلا ما يفيد، فحاول أن تكن منهم.. "ستحيا سالماً".

١٠ يناير

حكمة اليوم: "الإبتسامة صدقة".

أحيانا يمكن لأحزاننا وكل ما نحمله في دواخلنا من كآبة وأحزانٍ أن يُمحى بإبتسامةٍ عابرةٍ ولو حتى من غريب، فأصدق الإبتسامات وأجملها هي تلك التي تكون نابعةً من ثغور الغرباء والعابرين، لذالك وبمناسبة هذه الحكمة.. أريد أن أذكر لكم شيئا جميلا كان بفضل الإبتسامة، "كنتُ أعما في مصنعٍ للبلاستيك وكان في ذالك المصنع شخصاً لطيفاً إسمه "طه" وكان هذا ال "طه" يعمل كرجل أمنٍ على بوابة المصنع، وكان لا أحد يطيقه، كان الجميع يكرهه والكل يشكوا منه ومن تعامله السيء، ولكن على الرغم من ذالك .. فأنا ما كنتُ أرى فيه عيباً واحداً ولا شيئاً يستحق كل ذالك الكره، ولا حتى معاملةً سيئةً قد تلقيتها منه طوال تلك المدة التي عملت بها في ذالك المصنع والتي تتراوح ما بين عامين وثلاثة أعوام، كان رائعاً معي ويعاملني بغير ما يصفه به الناس، لست أعلم إن كان هذا هو السبب الذي يكرهه فيه الجميع.. لكن ما لاحظته هو أنه كان شخصاً صارماً لا يبتسم لأحد ولا يضحك إلا مع الذين يعتبرهم أصدقائه أو المقربين إليه، وما كنت صديقه يوماً أو حتى من المقربين إليه،

ولكني كنتُ كل يومٍ عندما آتي في الصباح أحييه بإبتسامة ثم "صباح النور" قبل أن أدخل، فكان هو أيضا يبادلني بذالك حتى صرنا أصدقاء أو أحبةً إن صدقت مقولة "أطباء النفس" التي يقولون فيها أنه "إذا ابتسمت لأحدهم.. فهذا يدل يدل على أنك فتحت له بابا من أبواب قلبك، أما إذا ما رد لك الإبتسامة.. فاعلم أنه قد دخل" كان يتفقدني ويسأل عن حالي لما أغيب، ويدخلني عندما آتي متاخراً، وربما ذالك هو ما كان يفتقده، وهذا الفقدان هو ما يجعله صارماً طوال الوقت، كان يفتقد الإبتسامة.. أن يبتسم أحدهم في وجهه كل يوم أو يحييه كل صباح، فلذالك لا تبخلوا على الآخرين بإبتساماتكم، فإنها ربما قد تكون الفارق الأعظم في حياتهم، أسعدوا الآخرين بإبتساماتكم وبالتحايا الصباحية.. وبالمقابل اكسبوا ثواباً، "فالإبتسامة صدقة".

١٥ يناير

حكمة اليوم: لا تتبع شهواتك ولا تركض خلف نزواتك.

لربما الجميع يعلم ما هو عائد الركض خلف الشهوات والنزوات العابرة، إنها لا تورث سوى الندم والأحزان، لأنها تنتج من حصيلة تفكير خاطئ، إن لي صديقاً _وهو الآن يرقد أمامي كالمقتول_ كنا نعمل معاً، كان رسمياً في عمله وكان أيضاً مواظباً على صلواته ومنظماً وقته، كان ينام في الحادية عشر ويستيقظ في السادسة والنصف، ولكن بغتةً انحرف، أصبح لا يداوم العمل بشكلٍ رسميّ ولا يصلي وقد تخلى عن نظام نومه، فأصبح غوياً لمشاهدة الأفلام والمسلسلات، لا تذكر له فيلماً أو مسلسلا إلا وذكر لك قصته وأبطاله وممثليه، وبالمقابل أيضاً.. قد تراكمت عليه الديون، ربما لأنه ترك صلاته وركض وراء نزواته ودخل في زمرة الذين قال الله فيهم (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِّ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) ربما لهذا قد أراد الله منه أن يدفع ثمن فعلته تلك، أصبح ينام في الواحدة أو الثانية منتصف الليل، ويفيق في السابعة أو الثامنة صباحاً وهذا هو سبب تغيبه عن العمل، وعندما يستيقظ من نومه لا يتسوك ولا يغسل حتى وجهه، حتى أنني في تلك الفترة توقفت عن

الأكل معه، لأنه أول ما يفعله بعد استيقاظه هو إشعال سيجارةٍ، ثم بعدها يقبض هاتفه، يشاهد حلقةً أو حلقتين من إحدى مسلسلاته وبعدها يغسل وجهه، وهكذا أصبحت هي حياته عندما اتبّع شهواته وركض خلف نزواته، لذا فإن الشهوات عواقبها مريرة هذا فقط هنا في الحياة الدنيا قبل الآخرة، لذا.. فيجب علينا أن لا نتبع شهواتنا فإنها ستؤدي بنا إلى ما لا نريد، دمتم بخير.

١٦ يناير

حكمة اليوم: "من في حاجةٍ للحب يقاسي قدر حاجته".

ذكرتني هذه الحكمة برائعتي "سماح" التي ترفض دائماً بل _أبداً_ مرافقة بشريٍّ يُدعى رجل، لأن ما قاسته في حياتها منهم.. جعلها تؤمن بأنه ليس في الرجال أماناً أبداً _بإستثناء والدها وإخوتها_ فلقد كنتُ متيماً بها، أفيض بها حباً لدرجة أنني أحياناً كنتُ أهلوس بها في منامي، لا لشيءٍ.. إلا لأنني أحببتها وكنت في حاجةٍ لأن تحبني هي أيضاً، كنتُ أحتاجها..؛ كنت بحاجةٍ للحبّ، ولكن كلما زاد حبي ازددتُ تألماً، أحبها وازدادٌ وجداً وشوقاً؛ ولكن بالمقابل تصدني هي، فتجتمع كل تلك الأضداد في قلبي ولا أستطيع إخراجها إلا بالكتابة، ودون وعيٍ أجد نفسي قد ألفت أكثر من ستّ كتاب، فتلك الكتب التي ألفتها والتي ما زلت أؤلفها حتى الآن.. هي ليست بحثا عن المعرفة أو كتباً علميةٍ أو حتى وسيلةً لجلب المزيد من الأموال كما يفعل بعض زملائي.. ولكن ملئاً لفراغٍ تركتْه بداخلي، فراغاً كنتُ أأمل أن أملئه بها.. أن تسكنه هي وتغنِيه حباً، ولكنها صدّتني وعنّفتني وقاسيتُ بقدرِ ما قاسيت، فما وجدت أحداً أو حتى شيئاً أستند إليه غيرُ الكتابة، ولكنها على الرغم من إدماني لها وولهي بها.. لم تسدي لي معروفاً

بإزالةِ هذا الفراغ الذي في داخلي حتى الآن، وحتى ما أكتبه لكم الآن ليس إلا تيمناً لملئ ذالك الفراغ، ولكن فراغ الحب لا يملئه سوى الحب؛ "ومن بحاجةٍ للحب يقاسي قدر حاجته".. أو أشد قسوة فالموت أهون بكثيرٍ من مأساةِ الحب في هذي الحياة، لذا فحاولوا أن تلينوا وتُهيّئوا قلوبكم للذين يحبونكم حتى وإن لم تستشعروا ذالك، فليس من المهم أن تشعروا به، ولكن المهم والأهم هو أنكم وجدتم الذين يبادلونكم إياه.. فحافظوا عليهم جيدا؛ دمتم بخير.

١٦ يناير

صباح النور، السلام عليكِ يا امرأةً من نور، إنها السابعة والنصف بتوقيت الكادحين، والخامسة والنصف بتوقيت الغرباء، والسادسة والنصف بتوقيتي أنا، صباح النور عليكِ، صباحاً ليس كمثله صباح، صباحاً لو تعلمين ما به يا عزيزتي..، إنه أجمل صباح قط قد مر علي في هذه الدار، لقد حلُمت بك اليوم يا رائعتي.. فأصبحت أدعو الله وابتهل له بأن يجمعني بكِ في بيتِ الحلال، ازددت ولهاً بك وحباً وتولعاً أكثر من ما كان في داخلي من قبل، تحولت إلى شخصٍ آخر ما كنته من قبل، لقد حلمت بأني عدت إلى الوطن وزرتكِ في المعمل، فوجدت الجميع هناك لطفاء رائعون مثلما كانوا، بل أصبحوا أكثر حلماً وشباباً وكأنهم لم يزدادوا فوق العمرِ "خمساً" أو كأني ما غبتها تلك الخمس، وجدتك من بينهم أنتِ رائعةً، زاهيةَ الحسن بقامتكِ الورديةِ وعينيكِ السوداويتان أو العسليتان ربما _لأني ما رأيتهما عن قربٍ يوماً_ دنوتُ إليكِ لأحييكِ.. مددتُ يدي إليكِ _لأننا لم نصل إلى درجة الأحضان بعد_ فمددتِ يدكِ نحوي.. ثم جذبتها بدلالٍ طفولي وعُنجهية مصطنعةٍ ونظرتِ لي في غرور أنثى تدعين الغضب "اصطناعاً" وتقولين لي لن "أُسلم عليك.!" سألتكِ

"لِما؟!" فأجبتِني "أتُعَرّفني بكل الخلق في كتاباتك وتريد مني أن أصافحك أتظن بأني سأغفر لك ذالك؟" فاختطفتُ هاتفكِ مازحاً دونما أجاوبكِ لأني علمتُ ما ترمين إليه من عينيكِ، ثم قلت لكِ "لن أسلمه لك حتى تصفحي عني وتصافحيني" فنظرتِ مبتسمةً إليّ بودٍ وامتنانٍ... وحينها.. حينها استيقظتُ من غفوتي.

لم أصحوا ممتعضاً ككل مرةٍ أو غاضباً لأنه الحلم لم يكتمل، ولكنني استيقظت مسروراً مبتسماً، لأنني أدركت حقا أن الأحلام لن تكتمل ولن تتحقق كلها مهما فعلنا، وسواءً كان ذالك في واقعنا أو في المنام فالأحلام لن تتحقق أبداً كما نريد، ولذالك فلقد استيقظت وأنا أكرر "اللهم أكرمني بها واجعلها نصيبي" لذا أردت أن أكتب لكِ اليوم وأخبركِ بأنني رأيتكِ في منامي بأبهى حُلةٍ.. كالصباح كنتِ أو أجمل، فصباح النور عليكِ يا نوراً يزور أحلامي فينيرها ومعها تستنير حياتي وازداد سعداً فوق سعدي، صباح النور عليكِ يا أملا يملئُني حياةً وشغفاً وطاقةً كافيةً لتصدي صدمات الحياة.. صباح النور.

١٧ يناير

حكمة اليوم: "الأقربون أولى بالمعروف".

ولكننا قصرنا كثيراً في حقهم ولقد أوصى الله ورسوله بهم ولكن قبل ذالك.. دعوني أخبركم شيئاً عن تلك الحكمة التي تقول أن "الأقارب.. عقارب" قبل عدة أعوامٍ كنت مؤمناً بهذه الحكمة لدرجة أنني أصبحت أعامل أقربائي بها حتى بدا لي أنهم فعلا "عقارب" فكنت كلما وبّخني أحدهم أو أساء إلي حتى ولو كنت مخطئاً.. أواسي نفسي بترديد أن "الأقارب.. عقارب" لقد تلوث عقلي بتلك الكلمات، حتى وفي يومٍ ما _لما اغتربت_ إتضح لي أن الأقارب ليسوا بعقاربٍ.. وإنما هم القارب الذي سينتشلك عندما تكون عالقاً وحدك في وسط المحيط، ففي غربتي تلك حُبست ذات يوم بإحدى مخافر الشرطة وطلبوا مني مبلغاً للغرامة لا أملكه حينها، وليست لدي القدرة لتسديده مقبلا، ولكني تفأجات لما أفرجوا عني وأخبروني عندما سألتهم بأن أحد أقاربي قام بتسديد المبلغ، على الرغم من أنني لم أبلغ أحداً منهم بحبسي فأصدقائي الذين كنت أكرر الإتصال بهم جميعهم لم يستجيبوا، ولكن أقربائي جاءوا من العدم ليخرجوني من هذه الورطة التي علِقت بها، ومن ذالك اليوم حذفت تلك الحكمة من

قاموس عقلي ووضعت مكانها أن "الأقارب هم القارب الذي ينتشلك عندما تكون عالقاً وحدك في وسط محيط الأسى" وذالك فاليوم لما جئت لأقطع ورقة التقويم.. رأيت هذه الحكمة أن "الأقربون أولى بالمعروف" فقلت سأكتب لكم عنها شيئا.. وكان هذا ما كتبته، لذا فإن "الأقربون أولى بالمعروف" فلا تلوثوا عقولكم بتجاههم.. دمتم بخير.

٢١ يناير

حكمة اليوم: "من باع الدنيا بالآخرة.. خسر الإثنان معا."

بمجرد قراءة هذه الحكمة تذكرت آيةً كنت كل ما سمعتها أو قرأتها أو صليت خلف إمامٍ كان يتلوها.. يقشعر لها بدني، وتزداد خفقات قلبي، وهي الآية "١٨" من سورة الحشر التي يقول فيها المولى عز وجل "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" لا أدري ما السر في ذوبان قلبي عند سماع هذه الآية، ولكن ما أتذكره هو أنني في يومٍ ما _من الأيام السوداء من عمري التي قضيتها في مصر_ كنت أعمل في إحدى المصانع التي تعمل لإنتاج الخشب، كنت حينها _وليغفر الله لي_ لا أصلي، وليس هذا فقط.. بل كنت ضالا لدرجةٍ لا أكاد أتخيل الآن كيف أنني وصلت إليها، حتى أتى ذالك اليوم الذي غير مجرى حياتي، لما شغلت ميزة التكرار العشوائي عندما كنت أستمع إلى الأغاني بسماعة الأذن من جهازي، وبغتةً أتى مقطعاً صوتياً أظنه خطبةً أو أنها محاضرة من إحدى السلاسل التي يقدمها الدكتور "طارق السويدان" لا أتذكر عنون الخطبة جيداً ولا حتى عن ماذا كان يتحدث فيها، فقط أنني تذكرت ذالك المقطع وتلك الآية التي قالها "وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا

قَدَّمَتْ لِغَدٍّ " (مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍّ) ولوهلة شعرت وكأنه ملَك ينذرني بكلام المولى ويدعوني إلى التوبة بدلا من العذاب الشديد الذي سأتلقاه إن ظللت في هذا الضلال، فلقد سمعت صوته مخيفاً لدرجة أنني صُدمت صدمةً قاسية لا زلت أتذكرها، وانتابني إحساساً غريباً وكأني لم أقرأ هذه الآية من قبل أو لم أسمع بها، بيْد أني كنت أقرأها كثيراً وأحفظها، بل إنني أحفظ حتى سورتها عن ظهر قلب، ولكن ما فائدة حفظ القرءان دون العمل به، أو قراءته دون تدبر، كنت لا أعمل بما تنص به ولا أستشعرها عند قراءتي لها، ربما لأنني لا أقرأ بتأمل ولذالك في هذا اليوم شعرت وكأني أسمعها للمرة الأولى، إقشعر لها بدني، واتسعت حدقتا عيناي، وظل قلبي ينبض بسرعة المهزوم أو بعجالة الموبوء إن صح التعبير، لأن تلك السرعة ما كانت سوى نتاج خوف واستخراج قبحٍ ومرضٍ كان بداخلي، وظللت أفكر وأتأمل في هذه الآية "وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍّ" وأردد في نفسي متسائلا "ماذا قدمت أنا لغدي؟" أو "ما الذي قدمته للرب شكرا على هذه النعمة أو هذه الحياة التي أعيشها الآن؟" أو "أو ماذا عن تلك الحياة؟ الحياة الأبدية الخالدة؟" إنني أعمل اثني عشر ساعةً في كل يوم من أجل مائة جنيه، ولا أستطيع تقديم خمس صلوات لمن يهبني ذالك اليوم برزقه، تباً.. يا لي من عاصي، ومنذ ذالك الحين أعدت ترتيب نفسي وعُدت إلى الله، تبت لله خالصاً

متضرعاً نادماً على ما فعلته، وصرت أصلي جميع صلواتي في أوقاتها، وأعدت ترتيب نفسي وتنظيم وقتي، ووضعت صورةً تحمل تلك الآية في خلفية هاتفي الداخلية والخارجية، فصرت كلما فتحت هاتفي أراها وأتأملها، وكلما لهاني الشيطان عن الصلاة.. أتذكرها وأتذكر ذالك الشعور الذي أصابني لما سمعتها في تلك المحاضرة وأردد محذراً نفسي "وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍّ " فيخفق قلبي، فأسرع بالوضوء وأقضي واجبي خوفاً من عذاب الله، وابتغاءً لرضوانه، وطمعاً في الغد.. في الدار الآخرة، وقد سارت حياتي بشكل أفضل عندما حافظت على صلواتي ذهب التعب والإرهاق من بدني، وصَفَت روحي وأخلاقي، واطمأن قلبي، أصبحت بعد كل فرض أو نافلة أصليها أشعر بسعادة عارمة، صرت أتعامل مع الجميع بلين، ومن هنا تأكدت وتيقنت جداً بأن الصلاة هي المصدر الوحيد لسعادة روحي حيث أنني تغيرت كلياً بعد حفاظي عليها، بدأت بتحقيق بعض أحلامي وأولها.. أن أكون "كاتباً" بدأت بنشر المقالات في العديد من المجلات الالكترونية وبعض الكتب المجمعة، حتى وصلت لأن أؤلف كتاباً بنفسي، ونشرت العديد منها _ومن ضمنها هذا الكتاب الذي تقرأه_، تعلمت الكثير من الأشياء، وخضت الكثير من التجارب الناجحة والفاشلة منها، كل ذالك كان بسبب حفاظي على الصلاة وفضل هذه الآية "وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ

لِغَدٍّ" بعد فضل الله والداعية "طارق السويدان" تلك الآية التي جعلتني أعيد ترتيب حياتي، واستمرت حياتي على نحو أفضل لما وضعتها على خلفية هاتفي، وأنا أنصحكم بذالك، أن تضعوها على خلفية هواتفكم إن رأيتم أنكم متثاقلون في آداء واجباتكم الفرضية، جربوا ذالك، فقط جربوا ذالك ولن تخسروا شيئاً، ربما ستكون من صالحكم وتغير فيكم شيئاً قذراً تفعلونه ولم تأخذو له بالا، أو تضيف إلى صفاتكم الجميلة أشياءً أجمل، دمتم بخير.

٣١ يناير

حكمة اليوم: الدموع النقية تطهر القلب

لربما كان ذالك حقاً، لكنني لا أصدق ذالك، ولست أعلم إن كانت الدموع تطهر القلوب حقا.. أم أنها فقط فلسفة الحكماء والكُتاب، لأنني ما بكيت أبداً منذ أن عرفت نفسي رجلا، وحتى قبل ذالك _في صغري_ كنت لما أبكي أغضب وأثور وأتوعد بالوعيد لمن تسبب في بكائي، وإن لم تكن تلك الدموع نقيةً.. ولما لا.؟! فلقد كنتُ أبكي من عمق قلبي، ولكن مع ذالك _وحتى الآن_ عندما أتذكر بعض تلك اللحظات التي أوجعتني وأبكتني لا أفكر إلا في الإنتقام وإن كنتُ أحياناً أهزئ من نفسي وأضحك ساخراً من تلك الأفكار، إلا أنني أشك في هذا الأمر، أشك في أن "الدموع تطهر القلب" لا أؤمن بهذه الحكمة ولن أفعل، لأنها سواءً كانت نقيةً أو غير ذالك، فإنها في نهاية الأمر ستبقى دموعاً حتى ولو ذرفتها فرحاً.. فإنها ستخرج مالحةً للغاية، والملح الزائد عن حده دائما ما يتسبب في الأضرار حتى ولو كان زائدا بشيءٍ قليلٍ فإنه يفسد الطعم، فما بالك بذالك الكم الهائل الذي ينساب مع الدموع؟ هل تذوق أحدكم دمع عينيه يوماً؟ أم أنكم لم تبكون أبداً؟ المهم.. على أية حالٍ.. فإنني

لا أؤمن بهذه الحكمة أو هذه الفلسفة، ولكن ما أعرفه أو أؤمن به هو أن "الدموع تقود الإنسان إلى الحزن أو الإنتقام" لذا فاحذروا من أن تصدقوا بأنها تطهيراً للقلوب، فالدموع سواء كانت نقيةً أو متعكرةً فإنها في نهاية الأمر دموع، أعني أنها لن تخرج مسكّرةً، وكما أسلفتُ مسبقاً أن "الملح ضار" فما بالك بالمزيد والمزيد منه؟ وهذا ما أعرفه أو ما تعلمته من خلال تجاربي وما أردت أن أنصحكم به، أما إذا ما أردتم أن تجربوا ذالك.. فأنتم الأحرار في قراراتكم وتنفيذها، دمتم بخير.

بأي حالٍ جئتَ؟

بأي حالٍ يا عيد.؟! كيف يمكنُ أن ننتشي بفرحتك وأنت العالِم بما يجري في أرجاء وطني؟!.. لقد تهشّم وتدمر ولم تتبقى في مرابيعه أية لوحةٍ أوعلامةٍ تدل على أن حداً ما سيُسَرّ بك أيها العيد؛ أربعةُ أعوام لم يرى فيها سكان وطني فرحةً مكتملةً بك أيها العيد، فكان كلما أتى عيداً.. اندلعت شرارة ثورةٍ، وكلما اشتعلتْ ثورةٌ.. فُقِدَ حبيباً أو قَريب، وكلما فَقد الوطنُ شخصاً.. قَلَّ الترحيب بك أيها العيد.. حتى انعدم ذالك الترحيب مطلقا هذا العام، أربعة أعوامٍ وكأنها كابوساً عقيماً جاء ليُفرغ غضب انتظاره الأليم في أرض وطني البريء، أربعةُ أعوامٍ كئيبةٍ مرّتْ؛ ولكن كان هذا العام أشدّ كآبةً وأثقل، عاماً وكأنه قطعةً من الجحيم سقطتْ في أرضِ وطني لتشعِل فيه لهيب الفِتن واندلاع العراك بين جيشه الذي كان موحداً ذات يوم، أسفاً أيها الوطن العزيز.. وعذراً قاطني وطني، أعتذر عن تلك التهاني التي كنت أرسلها في صباحِ كل عيدٍ أنْ "كُل عامٍ وأنتم بخيرٍ" لأنني أعلم أنكُم "لستُم بخَيرٍ" فلِما التطفّل إذنْ؟! لِما العيدُ والذِين نحبهم ليسوا بخيرٍ؟! لِما العيد وأنا أرى الوطن ينزفُ محترقاً.. وجُثثاً هناك على قارعة الطريقِ مبعثرةً كالحَصى؟! رغم اتساع الوطن

لم تجد تلك الأجساد شبراً من الأرض يحضنها في داخله، إننا منذ معرفَتنا للشَوارع نعلم أن إغلاقَها يكُون بالمتاريس، لَكننا ما تخيلنا يوما بأن تلك الطرقات التي أغلقناها بالحجارةِ يوماً ما.. سَتغلقها الجُثث يوماً، عذراً أيها الوطن الحزين، ما دمت نازفاً.. فَليس هناك عيد، ليسَ هناك عيداً وأهالي بلدتي محبوسُون في منازلهم دون ماء أو كهرباء.. حبسوا أنفسهم ليس خشيةً من الموت.. ولكن مخافة ذاك العذاب الذي يصيب المرء قبل الموت وقد تعرضت كل المستشفيات للقصف، ليس هناك عيداً وفي كُل بيْتٍ مفقوداً أو مُصاباً أو قتيل، بأي حالٍ جئت يا عيدُ.؟! إذهب فلتأتِ في يومٍ آخر، فوطني ليس بخيرٍ.. وكلّ عامٍ وأنا لستُ بخير.

سينتهي البؤس

ولكن على الرغم من كل هذه الصراعات التي نعانيها، وهذه المعارك التي نخسرها كل يوم، رغم كآبة وجور هذه الكتآئب الفتاكة من الذكريات التي تعبث بقلوبنا دون رحمة، على الرغم من غربتنا.. وحدتنا.. عزلتنا.. ابتعادنا عن الناس، على الرغم من كل ما يحدث لنا من تحدي وما يهلكنا من عذابٍ ومن يتآكلنا من اغتراب، رغم عمرنا المسروق.. ووطننا المحروق.. واهلينا النازحين منهم واللاجئين، الهاربين من منازلهم بحثاً عن مأمنٍ يقيهم شر تلك الرصاصات الطائشة وتلك المقذوفات الممنهجة التي يطلقون عليها قادة السفاكين اسم "وقعت عن طريق الخطأ"، بحثاً عن مأمنٍ يهُديهم ولو قطرةً من غيث الأمان ويقيهم شر هذه الفتنة أو اللعنة التي أصيبوا بها من قِبلِ هؤلاء الخونة الغدارين، على الرغم من بكاءنا على ما يحدث لهم، وأحزاننا المنسابة أسفاً عليهم، على الرغم من من آلامنا المشتعلة أجيجاً يلتهم كل ما بداخلنا خوفاً وجزعاً وأسفاً على ما يحدث في تلك الأراضي الطيبة، رغم هذه الدموع التي تنساب سيولا لا حدود لها، ورغم هذا الخضوع الذي أرغمنا واقعنا المرير عليه، ورغم حلم الرجوع الذي كنا نأمل إليه طوال بقاءنا هنا، ورغم

كل شيء.. إلا أننا ما زلنا ولا نزال نؤمن بأن لطف الله وكرمه أعظم من كل ما نعانيه، ما زلنا نؤمن بأن الله سيعوضنا عن كل شيءٍ فقدناه.. ضعف ما افتقدناه، ويسعدنا ضعف أحزاننا، ما زلنا نؤمن بأننا في يومٍ ما سنعود إلى الوطن، وسنلتقي أخيراً بكل من أحببناهم وافتقدناهم بقوافلٍ من الأشواق التي سجناها أعواما بداخلنا، سنعود إلى أوطاننا ونلتقي بأحبتنا، نحتضن ونعانق من كانوا حاضرين، ونعزي أهالينا عن الذين افتقدناهم بشدة ولم نجدهم.. أولئك الذين رحلوا في غيابنا إلى العالم الآخر، سنذهب إلى قبور أحبتنا وأعزاءنا الذين لم نستطع إلقاء نظرة الوداع عليهم، أو أننا ما التقيناهم حتى ولو مرة منذ أن ابتلعنا حوت الإغتراب، سنذهب إليهم هناك.. في منازلهم الجديدة.. في مقابرهم، نترحم على أرواحهم الطيبة.. نؤنسهم قليلا.. ونبكيهم كثيراً.. كثيرا، ونعتذر لهم عن سوء أقدارنا.. وعلى عدم عودتنا مبكراً ولقيانا بهم، سنعتذر لهم على آلامهم التي عانوها قبل رحيلهم، وعن تلك اللحظات والمآسي التي تحملوها وحدهم، نعتذر لهم عن غيابنا.. عن أنانيتنا.. عن غربتنا.. عن حسرتنا.. وعن أولئك المغتربين الذي لم يعودا بعد، وسنعتذر لهم نيابة عن تلك الرصاصات الطائشة التي أودت بحياتهم وحياة الكثير من الذين نحبهم، ما زلنا نؤمن بأنه في يومٍ ما سنعود إلى الوطن، وسيعود الوطن جميلاً مثلما كان، وسيصبح

رائعاً مثلما كنا نبتغيه وكما نحلم به، ما زلنا نؤمن بأنه سيأتي الخريف بعد مُضِيّ صيفٍ طويلٍ قاحلٍ، ستنتفض الورود من غبرتها وتزين الوطن مرةً أخرى من جديد، ستنموا أشجار النيم.. وستعود الحياة للشوارع والمناطق من جديد، ستعود الطيور إلى أعشاشها، وتغني القماري بصوتها اللطيف ترحيباً بوطنٍ جديد، وستنتفض أغصان الأشجار من شعث البارود وترقص طربا على نغماتها، ستنموا أشجار التبلدي ونصنع من ثمارها شراباً عذباً شهي، وتخضرّ أشجار اللالوب مرةً أخرى ونجلس على ظلالها جلسة ودٍ مع رفاقنا وأحبتنا، وتستبدل أشجار الدوم ثمارها المحترقة تلك بأخرى ناضجةً مخضرةً تعيد لقوبنا شعور الأمان، سيعود النيل ويجري ماءً عذباً بدلا من تلك المياه الملوثة بالدماء والكثير من جثث الأبرياء، ما زلنا ولا نزال نؤمن بأن لطف الله أكبر من أمانينا.. وأكثر من مخاوفنا.. وأعظم من مصائبنا.. وأقوى من صلابة واقعنا، لا زلنا مؤمنين بأنه في يومٍ ما سينتهي البؤس، وستنتهي الحرب، وستنتهي هذه السبع الشداد وتليها السبعُ الخيّرات المكتظة باليسر والسعادة والنعيم، سينتهي البؤس حتماً.. وسيعوضنا الله عن كل شيء، عن أوطاننا التي افتقدناها، والتي نحلم بها، عن شبابنا الذي قضينا معظمه اغتراباً، عن أحلامنا التي يئسنا منها وتخلينا عنها لأننا أيقنا ذات يومٍ بأنها لن تتحقق نظراً لقهر واقعنا، سيعوضنا الله عن كل

شيء.. كل يومٍ سُرق منا وكل ساعةٍ لم نعشها وكل لحظةٍ لم نتهنى بها، سيعوضنا الله لأننا مؤمنين بلطفه وعطاءه.. ولن يخيب أملا كان صاحبه يظن بالله خيراً.

كن راضياً

قد يمنحنا القدر القليل من الشقاء.. ولكن مهما كانت حالتنا سيئةٌ.. فإننا لا يجب أن نقلق كثيرا، لأننا نؤمن بأن الحزن لن يدوم أبداً مهما طال به المدى، مع الأيام يمكننا تقبل الواقع والتأقلم مع الحياة، يمكننا أن ننسى ذالك الماضي ونعيش حياتنا على نحوٍ أفضلٍ مثلما أردناها، فهكذا هي الحياة، وهذه هي سنتها، وهكذا قد عاش الذين هم من قبلنا، راضيين مقتنعين بما آتاهم الله من فضله، فالرضا هو الوتيرة الوحيدة للقضاء على تسلط الشيطان علينا، إن رضينا بما قسمه الله لنا.. عشنا في نعيمٍ دائمٍ وممددٍ من عطاء لا يفنى من عنده، فكن راضياً ستحلو لك حياتك بالرضى.

إلى صديقي

أحيانا تسوء أقدارنا للحد الذي يجعلنا نجلس وحدنا في عزلةٍ ونبكي صامتين، تسوء أقدارنا حتى نكره وجودنا في الحياة، نفتقد الكثير ونحن نركض خلف أحلامنا، ولكن مهما كانت قيمة ما افتقدناه.. فإنها لا تساوي قيمة فقدان الوالدين، فقدان الوالدين ليس بالأمر السهل أبداً.

جميعنا نمر بلحظاتِ ضعفٍ ولحظاتِ ألمٍ ولحظاتٍ إنكسار.. جميعها مؤلمةٌ؛ ولكن الألم الحقيقي هو أن تفتقد والديك في لحظةٍ استثنائيةٍ _مثلهم تماماً_ لن تتكرر مرتين، لذا أن نفتقدهم في مثل هذه اللحظة.. "لحظة التخرج" ذالك شعورٌ لا وصف له من الألم، إنه كالشعور بالموت.. أو أشد قسوة، لن ننكر أننا مع الوقت سنتقبل الواقع وننسى ونتأقلم مع الوضع بعد كل ما فقدناه ويصبح الأمر روتينياً، لكن من الصعب جداً أن ننسى أحبةً قد احتضنهم الثرى، حتى وإن تقبلنا فكرة أنهم رحلوا.. فهناك أشياءٌ ولحظاتٌ تصبح فارغةً ولا طعم لها من دونهم، لكن لا بأس يا صديقي "كل أمهاتنا أماً لك، وكل آباءنا أباً لك" وفي يومٍ ما.. جميعنا سنرحل، ولكن الأمر الأهم في هذه الحياة هو أن تمتلك قضيةً تسعى للفوز بها.. وها أنت الآن قد

حققت أحلامك ونلت ما كنت تصبوا له، ما كنت تسهر وتستيقظ باكراً من أجل الحصول عليه، لقد حصلت على الدرجة التي تمنيتها ونلت ما أردت.. لذالك يجب أن تكون فخوراً بما حققت، وإن آلمك رحيل والديك.. فيجب أن تتذكر أن هناك ضريبةٌ لكل شيءٍ أو نجاحاً تحققه في هذه الحياة، ولربما كانت الضريبة أقسى هذه المرة، ولكن بالصبر تحلو الحياة.

أتمنى لك النجاح والتوفيق والسداد دوماً ودائماً وأبداً خالص تحياتي.

كن مميزاً و انفرد

على أية حال.. يجب أن لا تلوث كامل يومك بمجرد كلمة قبيحة أطلقها عليك أحدهم، يجب أن تتفادى مرحلة التأثر بالكلمات، يجب أن تتجاوز تلك الكلمات المسيئة وتضع أولئك الأشخاص التافهين في بئر "التجاهل" خلفك ثم تمضي كأن شيئا لم يكن، لا يجب أن تحزن، فلن تنخسف الأرض لحزنك ولن تسقط السماء كسفا أسفاً عليك.. فلا تحزن، عندما ترى أن الأوضاع سيئة، يجب أن تتقن فن التجاهل والصمت لتصبح أسوأ، يجب ان تتعلم لذة النوم في غابةِ الضوضاء، وعندما تجد أن كل الطرق تؤدي إلى وجهة أنت لا تقصدها.. يجب أن تقف شامخاً في منتصف مفترقات تلك الطرق وتصنع لنفسك طريقا يقودك نحو وجهتك، إصنع نفسك بنفسك ولا تركض خلف القطيع.. كن مميزاً وانفرد.

الرسالة الأخيرة

"قادر أنساكِ وابعد لكن.. من بعدك تاني أقبل وبيين"

"جعفر السقيد"

وها نحن أو هكذا نحن معشر الجرحى والمكلومين الذين قست الحياة عليهم فلم تواسيهم سوى الأغنيات ولا تشفي جراحهم سوى تلك المقاطع الموسيقية أو تلك العطور التي استنشقوها عند آخر لقاءٍ بأحبتهم، ها نحن يا عزيزتي معشر الجرحى مرضى الذكريات الذين يتعلقون بأقل الأشياء تفاهةً ويقدّسونها حتى تصبح إدمانهم الأوحد والمفضل الذي ربما سيفقدون حياتهم بفقدانه، فلقد أصبحت أنا الآن واحداً منهم، أصبحت أحن على ذالك الماضي وأتعلق به أيّما تعلق، على الرغم من أنني لم يكن لي برفقتك ماضٍ يذكر؛ أنا هنا يا عزيزتي ما زلتُ أستنشقُ آهات العذاب وأتجرع من داء البعد والإغتراب محاولةً مني لكي أُشفى، ولكن قدباءت كل تلك المحاولات بالفشل عندما أخبرتِني بأنكِ قادمةٌ إلى هنا، أصبحت أحترقُ كثيراً وأتآكل منك أكثر وأنت لا تدرين، آهٍ لو تعلمين يا سمحى ما أعانيه في البعد عنكِ، لست أعلم.. وليست لدي أدنى فكرةً حتى الآن عن "ماذا

أكون أنا بالنسبة لكِ" ولكنكِ حتى الآن ما زلتِ تعنين لي كل شيء، إن جميع علماء التنمية وتطوير الذات يقولون "لا تعلق سعادتك بشخصٍ معين." ولكنهم سيغيرون معتقداتهم إن علموا من هو ذالك الشخص الذي تتعلق به سعادتنا، أو ببساطة لو أنهم علموا فقط من أنتِ، إنني يا سمحى على الرغم من أنكِ مصدر سعادتي إلا أنني لم أزل أعاني كثيراً منكِ، ولكن لا أستطيع أن أشكوا لكِ منكِ، وكلما أردت أن أحادثك بشأن هذا تهرب الكلمات مني فلا أستطيع قول شيء، وفي كل مرة أبتعد أكثر كي أنساكِ.. فلا أستطيع.. ولا يزيدني البعد إلا تولعاً بكِ وشوقاً إليكِ، وحتى هذا اليوم الذي أكتب لكِ فيه كنتُ قد قررت أن أنساكِ فيه لكني ولكن دون وعيٍ وعندما كنت أضع سماعتي "البلوتوث" في أذني وأستمع إلى الأغاني بشكلٍ عشوائيٍ إذ قفزت إلى مسمعي هذه الأغنية وتردد صدى هذه الكلمات في أذني "قادر أنساكِ وابعد لكن.. من بعدك تاني أقبل وبين "لقد فجعتني هذه الكلمات حتى جعلتني أعيد ترتيب عقلي وانظر بعين تمعنٍ وأساءل نفسي: "ما الخطوة التالية لو أني نسيتها؟" فما وجدت إجابةً شافية، هذه الكلمات جعلتني أيقن حقا بأني ليست لدي قبلةٌ في الحب سواكِ، وليست لي وجهةً أخرى سوى عينيكِ، ولذا فلقد جئت الآن لأكتب لك وأخبركِ بأنني لن أستطيع نسيانكِ حتى ولو حُذفتْ من العقل ذاكرتي، جئت

لأعترف لك ببعض حماقاتي التي ارتكبتها في شأنكِ من أجل أن أنسى هواكِ، جلست لأكتب لك في هذه الجولة الأخيرة من هذه المذكرة التي بدأت أكتب فيها قبل ما يقارب عاماً ونيفٍ..حتى صارت اليوم كتاباً، فأول رسالةٍ قد كتبتها لكِ فيها كانت في صباحِ يوم الأحد السادس من فبراير ٢٠٢٢ الساعة السادسة وثلاثٌ وعشرون دقيقة، وها أنا الآن أكتب لكِ رسالتي الأخيرة في مساء الحادي عشر من يونيو ٢٠٢٣ في تمام الساعة الحادية عشر وثمانية عشر دقيقة أرأيتِ الفرق.؟ لقد صرتُ أدمن الليل لأنني بت أشعر بالإنزعاج من زقرقةِ العصافير في الصباحات، ويحترق قلبي من نور الشمس، وبالمقابل أمست روحي تنبض بالحياة عند رؤية ذالك القمر، "لأنه يشبهك ربما" لقد جلست الآن هنا يا عزيزتي لأعترف لكِ ببعض الحماقات التي ارتكبتها مؤخراً، وربما سيساعدني هذا الإعتراف بالظهور على حقيقتي، وربما سيسبب لي الكثير من الخلافات والإفتراق مع الكثير من الأصدقاء وبعض الأحبة.. ولكن فليكن، مهما كان.. فإنه يجب أن نظهر على حقيقتنا لنحتفظ بمن يتقبلنا، ومن لا يتقبلنا على حقيقتنا لن يستحق محبتنا، وتلك الحقيقة أو ذالك الإعتراف هو أني "أُحبكِ".. أحبكِ وسأجهر بها أمام الجميع، ولتقرأها تلك التي أقسمتْ بجميعِ آلهة الحب بأنها قد أحبتني ولن تستطيع الإستغناء عني، وبادلتُها أنا أيضاً ذالك القسم عدة مرات، ولكن

في كل مرةٍ كنت أشعر بالذنب وأنا أبادلها القسم حتى انتابني شعورٌ بأني قد أصابتني لعنة الله.. فقلت سأكتب ليعفو الله عني، ولأعترف لكِ بحبي ولها بجرائمي وخُدعي، ولتقرأها أيضاً.. لتقرأ هذه الأحرف حتى تعلم أنني أيضاً لدي من أحبه ولا أستطيع الإستغناء عنه، ولتعلم أيضاً بأن قلبي كان ينقبض وينزف حسرةً في كل مرةٍ أكتب لها فيها "أحبكِ" لست أعلم إن كنت قد أحببتها حقاً أم لا؛ ولكن كان قلبي يؤلمني عندما أراسلها وأقول لها "إشتقت لكِ حبيبتي" وهي ليست بحبيبتي ولا أنني مشتاق، حتى أنها لما عاتبتني ذات يومٍ بأني ما عدت أكتب لها في المحادثة "أحبكِ" أو "إشتقتُ إليكِ" شعرتُ حينها بأن أوجاع قلبي تتزايد، فأجبتها لأتهرب من سؤالها ذالك وأبرئُ نفسي بأن هذه الكلمات "أحبكِ.. مشتاقين.. وحشتيني.." وما يشابهها من كلماتٍ هي تعبيرات صبيانيةٍ قديمة، ونحن قد أصبحنا عقلاء فلا داعي لقولها، ولحسن حظي فلقد كانت تصدقني في كل ما أقول؛ يا لسذاجتها تلك البريئة إنني آسفٌ حقاً بشأنها، آسفٌ حقا بشأنكِ يا "ملاذ" ولكن كان لابد من أن أقول ذالك، وأقسم أنني ما كنت أتلاعب بك، ولا أنني كنت أنوي فعل شيءٍ سيء، ولكني كنت أفعل كل ذالك من أجلكِ، ولأجل نسيان "سمحى" ولكن "سُميحَى" بالوطن.. ومن نسي االوطن فقد خان الأمانة، وأقسم لو أني نسيتها.. فلن أتردد أبداً في الإقتران بكِ، ولكن للأسف..

حظكِ سيئٌ للغاية، لأنه من المستحيل نسيان تلك الجوهرة السمراء، فأتمنى أن تتقبلي عذري.

وأما الآن يا عزيزتي سمحى فلقد تواجهنا في الكثير من المعارك ولقد خضت أنا معك الكثير من الصراعات وكان آخرها في هذا الكتاب.. وقد خسرتها أيضاً، على الرغم من أنني كنت أعلم بخسارتها منذ البداية، إلا أني خضتها من أجل أن أخسر لأن لذة الخسران معك تعادل فرحة الفوز مع الآخرين، وأيضاً خضتها من أجل أن لا أكون جباناً، وها أنا الآن أجثوا على ركبتي، أبكي فرحاً وحزناً معاً، أبكي بحزنٍ لأن النزال قد انتهى، وأبكي بفرحٍ لأنكِ ما زلتِ تذكُريني، ولأنكِ مازلتِ محفورةً في ثنايا داخلي وما استطعت أن أنساكِ رغم كل تلك المحاولات التي حاولتها، أجثوا على ركبتي وأكرر بحسرة خلف هذا "السقيد" الذي يردد على لحن هذا الوتر الحنين قائلا "قادر أنساك وابعد لكن.. بعدك تاني أقبل وبين.. ومنك لله أنا زول مسكين" على الرغم من أنني لم أكتب لك شيئاً منذ وقتٍ طويلٍ "منذ قبل رمضان وحتى عندما أخبرتيني بأنك قادمة إلى مصر برفقة عائلتك نتيجة هذه الحرب اللعينة" لم أكتب لكِ شيئاً، ولكني أخبرت بذالك نور، وآهٍ يا سماحُ لو تعلمين ماذا تعني تلك ال "نور" لي، إنها تعني لي الكثير، سأخبرك عنها في وقت لاحقٍ..؛ أما الآن.. فإلى اللقاء، يجب

أن نتوقف هنا في وسط هذه السطور من الجولة الأخيرة في هذا الكتاب، لنفترق الآن هنا في هذا المساء.. مساءُ الحادي عشر من يونيو، لنفترق دون وداعٍ علّنا نلتقي بين سطور كتابٍ آخر في جولةٍ أطول من هذه ومعاركٍ أشد شراسة من هذه، وأتمنى أن تشرفنا في تلك المعارك القادمة إبنتنا "لميس" التي لم تأتِ بعد، إلى اللقاء.. إلى أن نلتقي.

شيئاً أخيراً

وشيئاً أخيراً، أريد أن أخبرك أنه مهما أشقتني الحياة بمساوئها السيئة والمستفزة مهما احترقتُ واحترفتُ الإغتراب فإنني في يومٍ ما سأعود إليك، لأنه لا وجود في خريطة طرقي إلى وجهةٍ تؤدي إلى روما، لأن البوصلة التي أحملها بقلبي لا تشير إلا إليك، وكل الطرق لا تؤدي إلا إليكَ يا وطني، أنت الملجأ الأخير مهما طال الطواف.

تم في 2023/6/12

"إخترتك إنتي لي براي.. تتقاسمي فرحي وشقاي"

"لمغنيها"

الفهرس

إهداء.....6
إهداء خاص.....7
"ملحوظة".....8
(١).....9
(٢).....11
من اليأس والآلام.....12
(٣).....13
(٤).....14
(٥).....15
مبتور الأمل.....16
(٦).....17
لنفسي.....19
(٧).....20
تباً.....21
(٨).....23

(٩).....24
(١٠).....26
(١١).....27
أخبرتني أنها لن تأتي.....28
حتى نلتقي..!.....29
أخبروني.....30
وتركني أنا.....31
أكرهك.....32
آآه...لطفك يا رب..!.....33
بها ولها.....34
(١٢).....35
ليقرأكِ الجميع.....36
سنبقى ثوار.....37
أخبريني.....39
قصتنا الغريبة.....40
(١٣).....42
مساء النور.....43

أحبكِ.....44

تعويذة حبك.....45

إحترفنا الكذب.....47

لا شيء يُدعى سعادة.....48

"خُلقنا لنكمل بعضنا".....50

أخافُ عليكِ.....52

دعوة.....53

أخبروها.....54

هذا كل ما أجيد فعله.....55

ما زلتُ أتساءل.....56

شخصٌ لا يعرف المستحيل.....57

أولئك المخلصين.....58

لقد تمكن الحزن مني.....59

أنتِ معي.....60

لا أحد يستطيع.....61

على حافة الهلاك.....62

أعيش بشخصيتان.....63

(١٤).....64
ماذا يُسمى؟.....65
لكني أنتظر.....67
أعانني الله.....68
ملاذي.....69
مساء النور.....71
مسرح "الثورة".....72
شيئاً ما.....73
قصة.....74
(١٥).....77
نور.....79
إن كان الشوق يُكتب.....80
في تلك الزاوية.....82
رفقاً بنا يا أشواق.....83
4/9.....84
الكتابة.....85
إلى "كريمة".....86

سأنتظر ذالك اليوم.....89
الحب زلزلني.....90
سأمشيه.....91
ستون ثانية.....92
لستُ وحدي.....94
الذي يمزقنا.....95
رفاق الثورة.....96
(١٦).....97
تظنني.....98
البقال.....99
الحب لا نشيد له.....100
آسف.....101
أخشاكِ.....102
(١٧).....103
حلمي.....104
صباح الحزن.....105
لم أخُنكِ.....106

(١٨).....107
عن شيءٍ آخر.....108
"الوداع الأخير".....109
عيدُ حبٍ سعيد.....112
لستُ منهم.....113
عبوري للطريق.....114
أغنية.....115
سأحكي لك قصة أخيرة.....116
إلى صديقي "إبراهيم حسين".....117
ليشهد الله.....119
في أحرفي صمتاً.....120
من هي.....121
(١٩).....122
لا أدري متى.....124
".....".....125
لا أصدق.!.....126
الفالنتاين.....127

شعورٌ مؤلم.....128
مصابي "لونيلينس".....129
كن إيجابياً.....130
فلنتفق.....131
سأفعل.....132
(٢٠).....133
رسالة إعتذار.....134
الكُتّاب والذكريات.....135
إسلام.....136
لأنها عقلي.....137
إشتقتُ جداً.....138
أنتِ مُحقة.....139
لا يعلمن.....140
مروة.....141
في السيارة.....143
(٢١).....146

بعض الأوراق المهملة

إليكِ يا أريج.....149
أحياناً.....150
ذاك السحاب.....152
أنا أختنق.....154
مثل.....156
على الظروف.....157
ربما لن يشرق القمر.....158
عند تخوم الغياب.....160
عِديني.....161
قد لا نتمكن.....162
كنا هنا.....163
ولكن.....164
لست معتاداً.....166
ما زلت أحيا.....167
مرةً أخرى يا أريج؟.....169
هُدنة الوصول.....171

تحت إرادة الأقدار.....174
وعادت مع قطرات المطر.....176
في وقتٍ كهذا.....179
جميعنا غرباء.....180
لستُ أعلم.....181
غرباء.....182
"لو صحيح غنينا بالدمعة الحزينة".....184
لا أجد صوتي.....187
رسالة الصباح.....188
Zo mu sasanta.....189
دعيني.....190
البائسين.....191
لستُ شخصاً إجتماعيا.....192
أيمكن.....193
توخّي الحذر.....194
كان لابد.....195
٣ نوفمبر.....196

٥ نوفمبر.....197
١١ نوفمبر.....198
١٤ نوفمبر.....199
١٦ نوفمبر.....200
٢٠ نوفمبر.....202
"Malamate".....203
٢١ ديسمبر 2.....204
١ يناير ٢٠٢٣ 205
١ يناير.....207
٢ يناير.....208
٣ يناير.....210
يجب أن أعتذر.....212
ما زلت.....215
٤ يناير.....216
٥ يناير.....217
٩ يناير.....218
١٠ يناير.....219

١٥ يناير 221
١٦ يناير 223
١٦ يناير 225
١٧ يناير 227
٢١ يناير 229
٣١ يناير 233
بأي حالٍ جئتَ؟ 235
سينتهي البؤس 237
كن راضياً 241
إلى صديقي 242
كن مميزاً وانفرد 244
الرسالة الأخيرة 245
شيئاً أخيراً 251
الفهرس 253